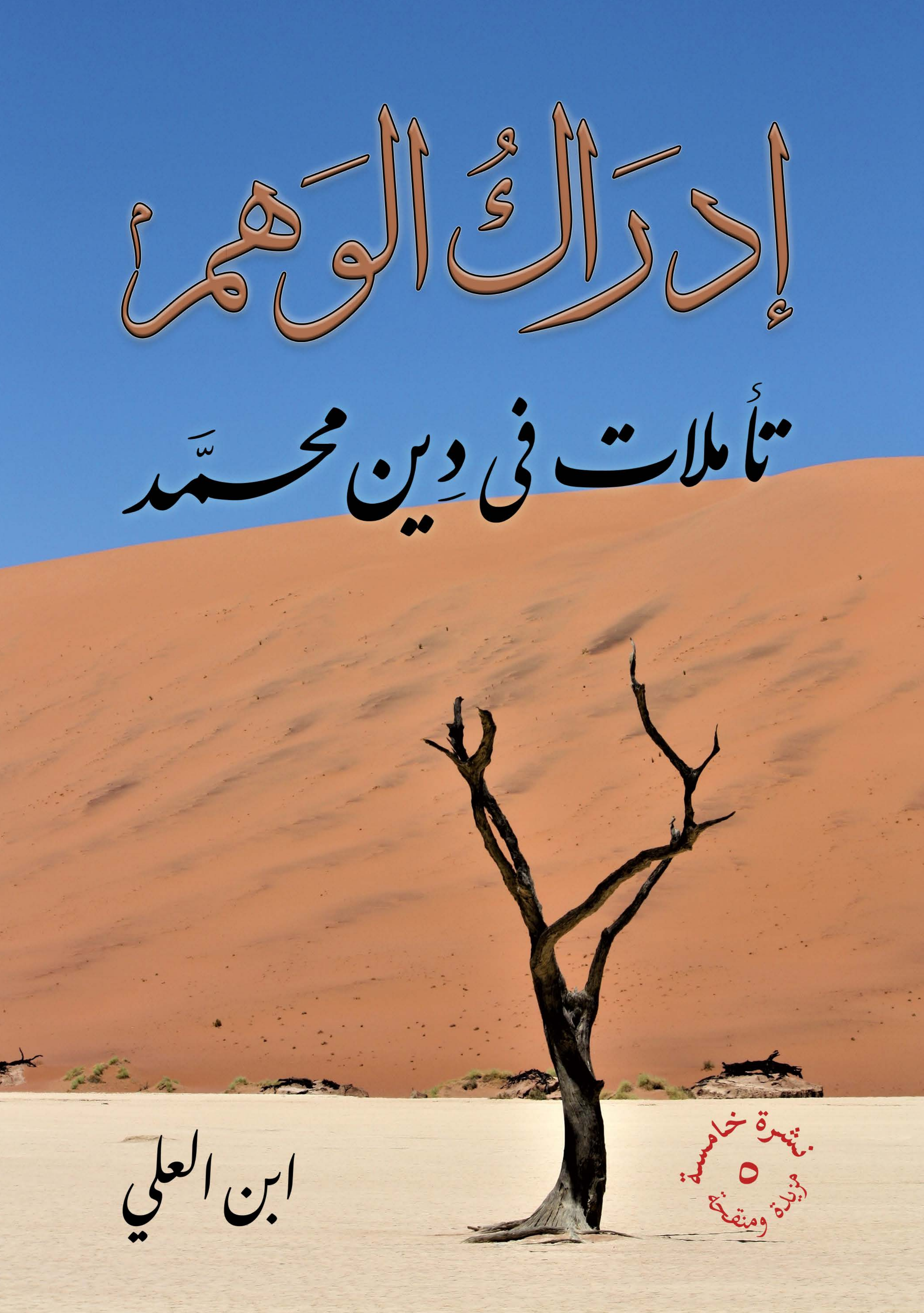

إدراكُ الوهم
تأملات في دِين محمَّد
نشرة خامسة
٥
مزيدة ومنقحة
ابن العلي

# إدراكُ الوَهم

## تأملات في دِين محمّد

تأليف

ابن العَلِيّ

النشرة الخامسة



ISBN: 1724617265
ISBN-13: 978-1724617262

لمراسلة المؤلف عبر البريد الإلكتروني:



ibnalali123@gmail.com

## إهـداء

إلى كل الأحرار الشجعان ،،

الذين أعملوا عقولهم ،،

وصانوا حُريّاتهم ،،

وأنقذوا أنفسهم من نِير العبودية وذُلّ الاتِّباع ..

# المحتويات

# مقدمة

بدأَت رحلتي مع الإسلام من أرض محمد ومن على مقربة من «بيت الله الحرام» حيث وُلِدتُ وترعرعت. وكأي فتى نشأ في فورة ما يُسمى بالصحوة الإسلامية[(١)]، كنت أظن الإسلام هو الحق المطلق الذي يجب أن يَعُمَّ الأرض ويَخضَع له الناس. لم أكن أتصوّر أبداً أن يساورني الشك في هذا الدين، ولكنني -ويا للمفارقة- أضع اليوم هذا الكتاب[(٢)] بين يديك أيها القارئ الكريم![(٣)]

قد يبدو ترك الدين أمراً غير منطقي عند كثير من المسلمين، ولذا يحاولون تفسيره كاضطراب نفسي نتَجَ عن أزمة ما، أو كانهِزَام أمام شهوات النفس، أو حتى كَلَوْثَة عقلية أَلَمَّت بتارك الدين! فَهُمْ يستبعدون تماماً أن يكون ترك الدين نتيجة لقرار عقلاني مَبني على أسباب منطقية ومشكلات حقيقية موجودة في الإسلام. ومن أجل هذا الفهم المغلوط عند كثير من المسلمين، قررت سرد خلاصة تجربتي التي خُضتها مع الدين الإسلامي بعقلي ووجداني حتى عرفت حقيقته، ثم تخلّصت منه وخرجت من رِبْقَتِهِ.

وتجربتي في الحقيقة لم تكن صعبة أو مؤلِمة كما قد يتصوّر البعض، بل كانت سهلة وممتعة، وإن استغرقت وقتاً طويلاً وشابها بعض الحَذَر! ذلك أن الأفكار والعقائد المبني عليها الإسلام أسهل من أن تُمثِّل عقبة حقيقية أمام أي

(١) خلال العقدين الأول والثاني من القرن الخامس عشر الهجري ١٤٠٠-١٤٢٠هـ.

(٢) عوضاً عن تسمية تحديثات الكتاب "طبعات"، فلقد استخدمت عبارة "نشرات" والتي أراها أفضل لوصف إصدارات كتاب إلكتروني كهذا. ويمكن متابعة جديد النشرات على صفحة الكتاب في موقع www.goodreads.com

(٣) ردة الفعل التقليدية لكثير من المسلمين عندما يسمعون أو يقرؤون كلاماً كهذا تكون بقول: الحمد لله على نعمة الإسلام، اللهم يا مُقلب القلوب ثبّت قلوبنا على دينك!

عقل متجرّد للحق ومتخفف من عبء التقديس. والمتعة التي يشعر بها المرء عند معرفة حقيقة كانت خافية عنه أو عند استنتاج أمر يكشف له تناقض الدين تجعل من رحلته مثيرة وشيّقة.

هذا الكتاب ليس محاولة لتقديم نقد شامل للإسلام، وإنما هو استعراض لأهم الأفكار والمعلومات والتأملات الذاتية التي قادتني إلى التأكد من كونه دين بشري، ومن ثم جعلتني أتركه بثقة ويقين. وهدفي من الكتاب مشاركة تجربتي مع إخواني في اللغة والأرض والإنسانية عَلَّ أن يجد بعضهم فيها ما يُصحح نظرته للآخرين أو يَنفعه في التخلّص من الوهم الذي يعيشه.

ولا أفشي سراً إن اعترفتُ بصعوبة وضع كتاب كهذا وتوجيهه للمسلمين، وذلك لعدة أسباب منها:

١) كثافة هالة القَدَاسَة التي تحيط بالإسلام ورموزه وتشريعاته عند المسلم، وبالتالي صعوبة اختراق هذه الهالة وإقناع القارئ بما يناقضها. فالإسلام بناء ضخم نشأ على مدى قرون طويلة، واجتهد الكثيرون من أتباعه في تلميعه وسد فجواته وجبر نواقصه. كما أن المسلم يستخدم عقله التبريري لمجابهة أي نقد للدين. ومن هنا نشأت صعوبة[1] مخاطبة المسلم بنقد الإسلام. ولقد حَسمتُ موقفي من هذا بطرح ما لدي من أفكار دون الاستماتة في محاولة إقناع القارئ بها. بل سأعتمد على ذكاء القارئ وفطنته، وسأحاول استثارته لبدء عملية جدل داخلي يقوم بها بنفسه، سواء وقت قراءة الكتاب أو بعد قراءته ولو بسنوات حينما يستحضر فكرة كان قد قرأها هنا! فهذا الحوار الداخلي الذي يقوم به المؤمن بأي دين هو السبيل الأنجع لإنارة الطريق أمامه وتبصيره بالتِّيهِ الذي يتخبط

(١) الصعوبة هنا هي صعوبة إيصال النقد إلى المسلم من طرف خارجي. وإلا فإن نقض عقائد الإسلام سهلة كما ذكرتُ سابقاً، شريطة أن يُعمِل الإنسان عقله ويتخفف من غلواء التقديس.

فيه[1].

٢) السبب الثاني لصعوبة تأليف هذا الكتاب هو اختلاف المرجعية بين المسلم وغير المسلم في تعريف المبادئ والقواعد العلمية والأخلاقية وحتى اللغوية. فالإسلام قد صاغ جزءاً كبيراً من عقلية المسلمين ووضع أُسُسَهَا وجعل معتقداته وتشريعاته هي المرجع الأوحد الذي ينطلقون منه في تحليلاتهم للواقع والماضي، وحلولهم للحاضر والمستقبل. كما أن الإسلام صاغ جزءاً كبيراً من اللغة العربية أيضاً. واختلاف المرجعية هذا مُشْكِلٌ حقيقي يمنع التواصل في كثير من الأحيان، وقد يُحِيل تحاور المسلم مع غيره إلى حوار طُرشان لا يستفيد منه أحد! تخيل معي كيف سيكون الحال فيما لو اشترك بَنَّاؤون لديهم أدوات قياس مختلفة الأطوال لإنشاء مبنى واحد! سوف لن يتمكنوا من إتمام البناء على النحو المطلوب حتى يُوَحِّدوا أدوات القياس التي يستخدمونها. إن عدم توحيد المرجعية والاتفاق على التعريفات هو بالضبط ما يجعل الكثير من حوارات الدينيين واللادينيين تنتهي دون جدوى. وإن محاولة توحيد المرجعية والاتفاق على معاني المصطلحات والمبادئ يتطلب جهداً كبيراً يسبق الدخول إلى أي نقاش. وطلباً للاختصار في هذا الكتاب، فإني سأشير إلى المرجعيات التي أنطلق منها والمعاني والدلالات التي أعنيها عند استخدامها كلما دعت الحاجة. وذلك في محاولة لتأسيس أرضية مشتركة بيني وبين القارئ أو على أقل تقدير جعله يفهم القاعدة التي بَنيتُ عليها هذه الفكرة أو تلك.

٣) سبب الصعوبة الثالث هو التباين الشاسع بين المسلمين في مذاهبهم وفي معرفتهم بالدين وحصيلتهم من اللغة العربية ونحو هذا. وهذا التباين يجعل توحيد

(١) وهذا ما حصل معي، فلم أتعرض لتأثير خارجي مباشر أو سبب وحيد قادني لترك الدين، بل كان الأمر جدل داخلي وتفكّر عميق وتأمل مستمر في الدين مع بعض الاطلاع والقراءة عند الحاجة.

الخطاب لكل هذه الفئات أشبه بالمستحيل. فالخطاب الموجه لطالب العلم[١] سَيَسْتَشْكِلُهُ المسلم العامي[٢]. والخطاب الموجه للمسلم العامي سَيَسْتَسْخِفُهُ طالب العلم. وسيقوم كل منهما باستخدام ما لا يعجبه في نقد ما أطرحه ومحاولة إسقاطه. فطالب العلم سيقول: يا لضحالة أدلتك وسخافة حججك، انظروا أيها المسلمون إلى عقول هؤلاء الملحدين[٣] الحمقى. وسيقول العامي: لو تركت عنك الفلسفة ووساوس الشيطان وبقيت على الإسلام لكان خير لك، ولكنك سوف تعرف الحقيقة عندما تُلقَى في نار جهنم! ا.هـ. وبما أن الأمر كذلك، فإني سأحاول مسك العصا من المنتصف وطرح أفكار متفاوتة في العمق مع استخدام لغة محايدة لا هي بالمتقعِّرة ولا بالعامية. ومع هذا، فأنا أفترض في القارئ أن يكون مُلِمَّاً بالدين الإسلامي بشكل مبدئي، وذلك من حيث النصوص (القرآن والسنة) والعقائد والتشريعات والطوائف. إذ سأُشير في كثير من الأحيان باقتضاب لبعض المسائل المتعلقة بالإسلام، مُفتَرِضاً معرفة القارئ المسبقة بها.

هذا، وليعذرني القارئ المسلم فيما لو جَرحتُ مشاعره أو أثرتُ حفيظته عند تناول بعض المواضيع. فأنا على دراية بالطريقة التي يفكر بها المؤمن[٤] حيال مقدساته، فلقد كنتُ مؤمناً يوماً ما! وأعرف أن البعض يغضب من نقد الدين، ويُنزِل ذلك النقد منزلة الشتم والتجريح، ويَعُدُّه هجوماً شخصياً عليه وانتقاصاً له! ولكنني أطلب من القارئ أن يُهوِّن على نفسه، وأن يقرأ بعقلية منفتحة، وأن يثق ثقة تامة أنني ما قصدت تجريحه أو الهجوم عليه، وإنما قصدي ممارسة النقد

(١) قد يكون من الخطأ تصنيف الدين كـ «عِلم»، ولكني أستخدم العبارات الشائعة أحياناً حتى لا يكون بيني وبين القارئ الكريم خلافاً على المصطلحات كما بينت سابقاً.

(٢) لا أحب استخدام هذه اللفظة للحديث عن عموم الناس، ولكني سأستخدمها للسبب السابق.

(٣) استخدمت عبارة الملحدين تماهياً مع الخطاب الإسلامي، وإلا فإن ليس كل لاديني هو ملحد بالضرورة.

(٤) استخدام لفظ «المؤمن» على إطلاقه في هذا الكتاب يعني غالباً المؤمن بالإسلام، وذلك بحسب السياق.

والتعبير عن آرائي. فكما أن للمؤمن بالدين نقد أفكار وآراء ومقدسات الآخَرين، فللآخَرين ذات الحق أيضاً. وإن النقد الموضوعي ليس رديفاً للشتم، فشَتَّان بين الأمرين، وأنه لابد مما ليس منه بُدٌّ!

المؤلِّف ،،،

جدة - يوليو ٢٠١٨م

* * *

# الموقف من الإسلام

قبل الخوض في نُقُودات الدين ومعضلاته، أود أن أُبيّن الموقف الصحيح الذي أرى على الإنسان العربي في بداية القرن الواحد والعشرين أن يَقِفَهُ من الإسلام. إن الإسلام كما هو معروف متعدد المذاهب والفرق، ولكني سأركز في هذا الكتاب على الإسلام الذي نشأتُ في كَنَفِهِ، وهو الإسلام على مذهب أهل السنة والجماعة. إن هذا الدين شئنا أم أبينا هو جزء من تاريخنا وثقافتنا. لا يسعنا إنكاره تماماً والتجرد منه بالكليّة. فهو قد صاغ جوانب كثيرة من هويتنا وعاداتنا، ولا يمكننا استبدال كل ذلك والبدء من جديد!

إن علينا النظر إلى الإسلام كإرث ثقافي بناه أجدادنا. هو صنيعة بشرية. وكأي شيء يصنعه البشر، فإن فيه الجيد والسيئ. فيه ما يمكننا الأخذ به والاستمرار عليه -وإن كان قليلاً-، مثل الحث على الإحسان ومكارم الأخلاق والتحذير من سيئها. فهذه مشتركات إنسانية ومن الجيد وجود إطار ثقافي ونصوص أدبية تُشجِّع الناس على التمسك بها. فكما أن للصينيين أو للهنود مثلاً أقوال لحكمائهم في هذا الإطار، فنحن لدينا ما يماثلها أو يتفوق عليها ربما. وعلينا أن نكون فخورين بهذا الإرث من الحكمة والأخلاق الذي تركه لنا الأجداد. كما أن علينا التماس العذر لأولئك الأجداد في ربط تلك الحِكَم بالآلهة والأنبياء، فربما أن زمانهم كان يحتاج هكذا ربط لحث الناس على التمسك بما يَدْعُونهم إليه والعمل به.

ومن الخطأ أن يترك الإنسان الإسلام ثم يترك معه كل أمر حسن فيه، نكاية بالدين وانتقاماً منه! بل على تارك الإسلام أن يعرف أن الإسلام صناعة بشرية، وأن ما فيه من أمور حسنة وجيدة إنما هي قيم ومشتركات إنسانية تم وضعها ضمن الإسلام، ولا يعيبه لو تمسّك بها وعمل وفق مقتضاها. فالإسلام لم

يخترع الأخلاق أو الإحسان، وليس الإسلام الوحيد الذي يمنع الخيانة والغش والسرقة مثلاً. لذا فعلى الإنسان العاقل اختيار كل حَسَن والحفاظ على كل ما هو جيد[1].

الأمر الآخر الذي يجب على الإنسان العربي التَّنبه له هو العادات والأعراف العربية التي تم ربطها بالدين وتسويقها كتشريعات ثابتة من عند الإله. ومثال هذه العادات ما يختص ببعض الشؤون الشخصية والعلاقات الاجتماعية، مثل لبس المرأة وعلاقة الرجل بزوجته والوالد بأبنائه والجنسين ببعضهما ونحو هذا. فهذه العادات والأعراف يجب تحريرها من الدين وكسر جمودها وجعلها عُرضة للتطور الاجتماعي الطبيعي؛ فيتم إبقاء الجيد وإزالة الرديء وفق ما تقتضيه المصلحة ويرغبه الناس. ذلك أن إقحام الدين في هذه الأمور يضر ولا ينفع، ويُخلِّف تبعات نفسية واجتماعية واقتصادية سيئة. إنه يخلق صراعاً غير ضروري داخل أنفس الناس وضمن العائلات وعلى صعيد المجتمع ككل. وهكذا صراع لا يمكن للدين الانتصار فيه في نهاية المطاف، وذلك لأن رغبات الناس وضغوطات الواقع أقوى من قدرة الدين على مقاومتها.

أما الجانب القبيح من الإسلام والذي يتعارض مع ما وصلت إليه البشرية من علوم ومبادئ، كالحريات وحقوق الإنسان والقوانين الدولية والمكتشفات الحديثة، فهذا الجانب يجب على الإنسان العربي رفضه ومناهضة تطبيقه في الحاضر والمستقبل، والاعتذار عمّا فعله في الماضي. فالتمييز الديني بين البشر مثلاً يجب أن ينتهي، وكذلك دعوات الكراهية لغير المسلمين، والدعوات للحروب الدينية (الجهاد). كما يجب أن تنتهي عرقلة الإسلام للعلوم الإنسانية والنظرية والتطبيقية، مثل علوم الاقتصاد والاجتماع والبيولوجيا والكونيات.

(١) يجادل بعض المسلمين في كون الدين هو المرجع الذي نشأت منه الأخلاق، وأنه بدون الدين لا يمكن للإنسان معرفة الخير من الشر ولا الجيد من السيئ!

# الظلم والعدالة المنقوصة

على الرغم من كل الدعايات التي يُرَوِّجُ لها المسلمون، إلا أن الإسلام يعاني من خلل بُنيَوِي يجعله ناقص العدالة بل وظالماً في معاملته للناس. وفي هذا الفصل من الكتاب سأستعرض بعض ملامح العدالة الناقصة التي يعاني منها هذا الدين.

##  الرِّسَالة

كان الشك في صلاحية استخدام الرسالة[1] أو النبوّة[2] لتبليغ الدين من أوائل الشكوك التي انتابتني حول الإسلام. فلقد بدا لي أنه من غير العدل أن يرسل الله رسولاً إلى مجموعة صغيرة من الناس في مكان وزمان مَحدُودَين، ثم يطلب من غيرهم الإيمان بما آمن به أولئك! إن «تكافؤ الفرص» من مبادئ العدالة، ولذا يلزم معاملة الناس جميعاً بالمِثل في هذا المقام. فإن كان أولئك القوم حظُوا بفرصة رؤية الرسول ومناقشته ومشاهدة معجزاته والتأكد من صدقه وصحة رسالته، فلماذا لا يحظَى غيرهم بذات الفرصة؟

بل إن كان الرسول نفسه قد حظِيَ بأدلة يقينية على صحة رسالته، فلماذا لا يحظى غيره من البشر بتلك الأدلة أيضاً؟! فالله -بحسب الإسلام- قد قدّم الأدلة لمحمد على صدق رسالته، فرأى جبريل وعرج إلى السماء مثلاً. وأيضاً عندما شك إبراهيم، أعطاه الله دليلاً حسياً، فطلب منه أخذ أربعة من الطير،

(١) التطرق لمسألة «إرسال الإله ديناً للبشر» هنا لا يعني الإقرار بضرورة وجود شيء كهذا، وإنما هو استخدام للفكرة الدينية لإظهار الخلل والتناقض الكامن فيها.

(٢) لا يعنينا الفرق بين الرسول والنبي هنا كثيراً، وقد أستخدم أي من التعبيرين للإشارة إلى وسيلة تبليغ رسالة الإله المفترض إلى خلقه.

والقصة معروفة. فلماذا يعطي الإلهُ المُفتَرض الأدلةَ لأفراد معدودين ويحرم أعداداً لا حصر لها من البشر؟!

إن كان البشر سواسية عند هذا الإله، فمن المفروض حينها أن يُعامِلهم جميعاً بالمساواة والعدل، وألّا يُميِّز ويحابي مجموعة صغيرة منهم فقط! ومن هنا يمكننا التساؤل مستنكرين عن عدالة إرسال الرسل إلى البشر:

- لماذا لم يحظَ من عاش إبان زمن النبوة وهو في اليابان أو في البيرو بفرصة مقابلة الرسول محمد؟
- لماذا لم يحظَ من وُلِدَ بعد زمن النبوة بقرنين أو ثلاثة أو تسعة قرون بتلك الفرصة؟
- لماذا لا نحظى نحن ولا من سيأتي بعدنا بفرصة مشابهة أيضاً؟[١]

من الظلم أن يَحرِمَ الإلهُ الناسَ من فرصة قد مَنَحَها لبعضهم فقط! كما أنه من الظلم أن يجعل الإلهُ الناسَ مجرد تابعين وعالة على ما يصلهم من أخبار عن رسوله الذي عاش في الزمن البعيد. فإن آمن أجدادهم آمنوا، وإن لم يؤمن أجدادهم لم يؤمنوا!

ثم إن كان الإله يريد من البشر أن يكونوا تبعاً لغيرهم في مسألة الإيمان به، وأن يعتمدوا فقط على الروايات[٢] والقصص والأخبار التاريخية، فمن يضمن لهم أن كل الوحي الذي جاء به الرسول سيصلهم كاملاً وصحيحاً لا زيادة فيه

(١) يقول بعض السلفيين إذا ما وُجِهُوا بمثل هذا السؤال: احمد ربك أنك وُلِدَتَ مسلماً ولم تلقَ الرسول فلربما لن تؤمن به مثل كثيرين عاشوا في زمانه!

(٢) الروايات هنا لا تعني روايات الأحاديث فقط، بل تشمل القرآن أيضاً.

ولا نقص؟ لا يمكن ضمان هذا وإن ادَّعى المدَّعون خلاف ذلك[1]! بل كيف يستوثق الناس بعد زمن النبوة من وجود الرسول فعلاً، خاصة مع عدم وجود أدلة مادية (أركيولوجية) عليه؟! فمن يضمن للناس ألا يكون هذا الرسول مجرد شخصية تاريخية وهمية؟ أو ربما كان موجود كمصلح اجتماعي أو كجزء من خديعة سياسية قامت بها دولة قديمة لتوسيع نفوذها، ومع مرور الزمن وتراكم القصص والحكايات اكتسب صفة النبي! لا يمكن للناس بعد مئات وآلاف السنين القطع يقيناً بشيء!

الرسول لم يأتِ بأمر هيّن أو يسير، بل جاء للبشر -بحسب زعمه- برسالة شاملة تتدخل في كل شؤونهم الخاصة والعامة، وتحدد مصيرهم الأبدي بعد الموت أيضاً! وعليه، فمن حق الجميع رؤية هذا الرسول والسماع منه ومناقشته والتأكد من نبوته بأنفسهم. فلا يمكن أن يأتي برسالة على هذه الدرجة من الأهمية، ثم يعتمد في تبليغها على مجرد القصص والحكاوي والروايات التاريخية والتي تُمثِّل أدنى درجات التوثيق وأكثرها شكاً وريبة!

لقد خلصتُ من بعد التفكير في كل ما سبق إلى أن إرسال الإله لرسولٍ محدود الزمان والمكان لا يمكن أن يكون أسلوباً عادلاً لإيصال الدين إلى البشر[2]. وأن الإله العادل القادر ما كان سيلجأ لهذه الطريقة لتبليغ دينه، بل كان سيجد طريقة أخرى تتجاوز حدود الزمان والمكان، ويتم من خلالها معاملة الناس جميعاً بعدالة وبمساواة تليق بحالة كل فرد منهم.

---

(١) قد يحاول المسلم الاستشهاد بعناية المسلمين بالروايات وأسانيدها وما إلى ذلك. ولكن حجته ستكون ضعيفة هنا لأن علم الحديث من العلوم الزائفة التي لا يمكن الركون إليها والوثوق بها. ولقد قام «القرآنيون» بجهد متميز في دحض أسطورة الرواة والأسانيد (مع أنهم لم يتجرؤوا على التشكيك في روايات القرآن واكتفوا بالتشكيك في روايات السنة!). وسنتطرق لهذه المسألة في فصل «المغالطات».

(٢) الإسلام يتمادى كثيراً هنا ويقول أنّ محمداً رسولٌ أيضاً لكائنات غيبية اسمها «الجن» بالإضافة للبشر!

ولكن، هل كان لدى «الله» خيارات لتبليغ دينه للبشر من غير إرسال رسول من جنسهم إليهم؟ لقد حدد القرآن ثلاث طرق محتملة لتواصل الله مع البشر، وذلك في قوله: وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا: وَحْيًا، أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴿٥١﴾ الشورى. وإن كانت هذه الآية تعني تواصل الله مع الأنبياء تحديداً، إلا أنه يمكننا أن نتساءل: لماذا لا يستخدم الله إحدى هذه الطرق للتواصل مع البشر جميعاً؟

لقد اعترض الناس في زمن محمد على نبوته، وقالوا: لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا[1]. قد لا تشير هذه الآية في الوهلة الأولى إلى اعتراض الناس على فكرة النبوة بحد ذاتها وإنما على صفة النبي. ولكن قد يُفهم من الآية رغبة الناس في ملاك يرسله الله إليهم مباشرة. فكما أرسل الله جبريل إلى محمد، فلماذا لا يرسله إلى البقية؟ ولكن هذه الطريقة قد لا تكون ملائمة للتبليغ العام! لأن ظهور ملاك للناس جميعاً سينفي عن الدين صفة الاختيار حينها، وسيكون الإيمان حتمياً أو شبه حتمي.

وإذا نظرنا للطريقة الثانية من طرق تواصل الله مع البشر، وهي «الخطاب من وراء حجاب»، فإنها تعاني مما تعاني منه الطريقة أعلاه. فمن المفترض أن الله اختار عدم التواصل المباشر مع خلقه لأنه يريد اختبارهم ورؤية هل سيؤمنون به وهو محتجب خلف أستار الغيب أم لا. وعليه، فإن مخاطبته للناس من وراء حجاب لا تصلح أن تكون طريقة لتبليغ الدين للعموم. والإله اختار مخاطبة موسى فقط من وراء حجاب لأنه أراد منه أن يؤمن مباشرة. ولو اتبع ذات الأسلوب مع جميع الناس، فإنهم سيؤمنون مباشرة، وفي هذه الحالة ينتهي الاختبار وينتفي الاختيار ويصبح الإيمان نوعاً من الفرض والإرغام، وهو ما لا

(١) الآيتان: ٣١ الزخرف وَ ٧ الفرقان.

يريده الإله كما يزعم رُسُله[1]!

يبقى لدينا طريقة أخيرة محتملة -بحسب القرآن- لمخاطبة الله للبشر، وهي «الوحي الشخصي». واستخدام الوحي، الذي يشبه هنا الإلهام أو مخاطبة الضمير لصاحبه، أراه الخيار الأفضل من بين الخيارات الثلاثة. فالوحي متجاوز لحدود الزمان والمكان، ويمكن للإله من خلاله مخاطبة كل شخص[2] بما يتواءم مع عقله وثقافته، دون التجلي له وكشف حجاب الغيب. فلا يكون هناك إجبار على الاتباع، بل تُمنَح الفرصة لكل شخص لكي يُعمِل عقله ويتبع ما يوحيه إليه «ضميره النبوي» أو يُرفضه إن أراد. وبذلك يتحقق الاختبار والامتحان وتُنجَز العدالة والمساواة.

وقد يقول قائل: الوحي الذي تصفه لا يصلح لتبليغ دين ضخم ومتكامل كالدين الإسلامي! ولكن قائل هذا الكلام يَفترِض أن الدين لابد أن يكون تفصيلياً يتناول كل جوانب الحياة، بينما هذا ليس ضرورياً في الحقيقة. فالدين يمكنه أن يكون مَبدَئِياً ومختَصراً، يُركز على الأساسيات وقواعد الأخلاق والتعامل. وسيتمكن الإنسان إن استجاب لهذه الأُسس وآمن بها، أن يَبني عليها نظاماً حياتياً يُصلِح به دنياه وآخرته. فالإسلام يزعم أن الله قد وهب الإنسان العقل والقدرة على التعلُّم، وبالتالي فبإمكان هذا الإنسان وضع التشريعات التي تحقق غايات الدين متى ما كان لديه القاعدة المناسبة لهذا.

---

(١) هذا التخفي والسرية التي يمارسها الإله الإبراهيمي لا تدل إلا على الخداع، وأن رسله المزعومين يستغلون وجوده المفترض لإقناع الناس باتباعهم والإيمان بالوهم! والإسلام يحذّر الناس من المطالبة برؤية الله المتخفي هذا، ويُذكّرهم بأن الله قد صَعق بني إسرائيل وأماتهم عندما طالبوا برؤيته جهرة! فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴿١٥٣﴾ النساء. بينما هو لم يعاقب موسى عندما طلب رؤيته واكتفى بقول: لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴿١٤٣﴾ الأعراف!

(٢) هذه الفكرة تطرق لها الفيلسوف جان جاك روسو في كتابه القيّم «دين الفطرة».

إن طريقة إبلاغ الدين لكل شخص بواسطة الوحي الإلهي المباشر تليق أكثر بالله القادر على كل شيء -بحسب العقيدة الإسلامية-. فلماذا يحتاج الله لملاك يحمل كلامه إلى رسول؟ ولماذا يحتاج لرسول يبلغ كلامه لمن حوله؟ ولماذا يحتاج لرواة يحملون رسالته إلى من بعدهم؟ ولماذا يحتاج لعلماء يشرحون دينه للعرب؟ ولماذا يحتاج لمترجمين يترجمون كتابه لغير العرب؟ إن هذا يُظهر الإله بمظهر الضعيف العاجز المحتاج لغيره، بينما الوحي الشخصي المباشر يُظهِره بمظهر الإله العادل القادر على الوصول إلى كل فرد من خلقه دونما وساطات! وهذه الطريقة ليست بغريبة على الإسلام! فلدى هذا الدين فكرة «الشيطان» الذي يوسوس للإنسان (أي يخاطب الإنسان من داخله). وعليه، فطالما أن الشيطان يمكنه الوسوسة لكل إنسان في أي زمان ومكان ومخاطبته من داخله بما يفهم، فالله -بحسب المنطق الديني- ليس عاجزاً عن هذا، ويمكنه مخاطبة كل إنسان وحياً. بل إن مخاطبة الإله للإنسان كما يفعل الشيطان ستكون أكثر عدلاً، إذ ستجعل المعركة متكافئة بين داعي الخير (الوحي) وداعي الشر (الوسوسة)، والإنسان يختار ما يشاء.

بقي أن أقول إن رفض مبدأ إرسال الله لرُسُلٍ من البشر يقود إلى رفض كل دين تم تبليغه بهذه الطريقة، سواء كان الإسلام أم غيره. فهذه الطريقة ظالمة، ولا يمكن أن تكون طريقة الإله العادل -على افتراض وجوده-.

##  حاجز اللغة

يخاطب القرآن محمداً قائلاً له: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ سبأ. إن الإسلام هنا يتجاهل حاجز اللغة تماماً ويقفز فوق اختلاف لغات البشر! فكيف يدَّعي الإسلام أنه للبشر جميعاً ثم يخاطبهم بلغة واحدة فقط؟ وكأنه لا وجود لحاجز لغوي بينهم أو أنه بلا تأثير!

المشكلة أن القرآن نفسه يعترف بالحاجز اللغوي في آيات أخرى وتأثير ذلك على الدعوة، فنجده يقول مثلاً: فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ مريم، ويقول: بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ الشعراء، وأيضاً: وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴿٧﴾ الشورى. فماذا يريد إله الإسلام هنا؟! هل يريد أن يتنازل البشر جميعاً عن هويّاتهم وحضاراتهم ولغاتهم (طوعاً أو كرهاً!) ويلتحقون بالعرب ويتعلمون العربية من أجل الإيمان بكتاب لم يُرسَل لهم ولا يدرون ما فيه ابتداءً!

إن تجاهل الإسلام لاختلاف لغات البشر فيه ظلم لغير الناطقين بالعربية، وذلك باعتراف القرآن نفسه. فهو قد يَسَّر الرسالة وبَيَّنَها للعرب ولم ييسرها ويبينها لغيرهم. وهذا يعني أن الإسلام دين عنصري خاص بالعرب فقط أو أنه دين غير عادل، وبالتالي ليس من لدن إله عادل وحكيم كما يزعم المسلمون.

قد يحاول البعض التقليل من تأثير حاجز اللغة مستشهدين بالواقع كون المسلمين من غير العرب هم الأكثرية. كما قد يحاولون التبرير بالترجمة وأنها تحل مشكلة حاجز اللغة. وفيما يلي سأناقش هذين التبريرين بنوع من الاقتضاب.

إيمان الناس بأديانٍ لا يعرفون لغتها الأصلية هي السمة الأبرز في كل مكان، فأكثر المسيحيين مثلاً لا يعرفون العبرية ولا اللاتينية. إن الغالبية الساحقة من المؤمنين بالأديان قد ورثوا إيمانهم من آبائهم، ومعظمهم منشغلون بمعايشهم اليومية أصلاً ولا يعيرون الدين وتفصيلاته كثير اهتمام. بل حتى إن أجداد هؤلاء عندما دخلوا في الأديان أول مرة إنما دخلوها نتيجة ظروف سياسية أو اقتصادية في الغالب الأعم، ولم يكن دخولهم فيها بعد دراسة وتمحيص وفهم عميق!

لقد أوجد الناس مراجع دينية لهم مع مرور الزمن، وانتشرت بينهم معلومات عن أديانهم بلغاتهم. ولكن هذا لا يعفي الأديان من ظلم هؤلاء حين وضعت بينهم وبينها حاجزاً وحرمتهم من التعرف عليها بلغتهم الأم، وعامَلَتْهُم -أي

الأديان- بتمييز مجحف حين أجبرتهم على بذل مجهود مضاعف لتعلّم لغتها إن أرادوا فحصها بأنفسهم أو الاستزادة منها! والإله مُطلَق القُدرة كان سيجد حلاً لهذه المعضلة اللغوية ويتيح دينه لجميع خلقه بلغاتهم على قدم المساواة. أما البشر فهم عاجزون عن فعل ذلك، ولذلك جاءت الأديان بلغة واحدة، وتركت عبء تجاوز حاجز اللغة على الناس. وإن سير الإسلام على ذات النهج الظالم تجاه غير الناطقين بالعربية يفضح مصدره البشري.

أما فيما يتعلق بقدرة البشر على الترجمة، وأن هذا يعفي الإله من مخاطبة خلقه بلغاتهم المختلفة مباشرة، فهذا عذر ساقط من وجوه. فاعتماد الإله على أهل لغة معينة لترجمة كلامه يشي بعجزه عن الوصول إلى جميع خلقه. ثم إن الترجمة تستغرق وقتاً لتشمل جميع اللغات. فهل الإله يريد حجب نور هدايته عن جزء من خلقه إلى حين ترجمة كلامه بلغة هؤلاء المحرومين؟!

إن الواقع يخبرنا بأن ترجمة القرآن لم تشمل جميع لغات الأرض حتى اليوم. وأن بعض اللغات لم يترجَم إليها القرآن إلا في السنوات الأخيرة، مثل الأوكرانية التي لم تحصل على ترجمة للقرآن إلا في سنة ٢٠١٥م[1] فقط! وحتى الترجمات التي تمت في أزمنة سابقة لم تنتشر بين الناس بسبب صعوبات تقنية أو اقتصادية، وإنما انتشرت اليوم بعد التطور في وسائل الطباعة والاتصالات. فهل كان الإله ينتظر ظهور الطابعات وشيوع الكتب والإنترنت حتى يصل هديهُ للناس؟!

ثم هل ستكون ترجمة القرآن معجزة لغوياً لغير العرب مثلما أن القرآن العربي معجز للعرب -بحسب زعم المسلمين-؟ المسلمون يقولون أن كلمات القرآن لا يمكن ترجمتها وإنما معانيه فقط! وهذا يدخلنا في معضلات جديدة! أولاً، لماذا يتنازل الإله عن الإعجاز اللغوي في القرآن مع غير العرب، مع أن هذا الإعجاز المزعوم هو من أقوى الأدلة التي يتمسك بها المسلمون العرب على

(١) المصدر: https://bit.ly/2MNVLEr

صحة دينهم!

وثانياً، طالما أن الترجمة تكون للمعاني، فمن يضمن جودة الترجمة؟ وفيما لو أخطأ المترجمون في إيصال وحي الإله، فمن سيتحمل الأضرار الناتجة عن أخطائهم؟ أم أن وسطاء الترجمة هؤلاء معصومون مثل الأنبياء؟!

وثالثاً، لماذا يرسل الإله دِيناً شخصياً، ثم يجعل بين الشخص والدين وسطاء من المترجمين؟ هل يريد الإله جعل العلاقة بينه وبين عبيده علاقة مباشرة أم علاقة تتم عبر وسطاء؟

ومن جهة أخرى، فإن لغة القرآن صعبة حتى على العرب، وتحتوي كلمات غير عربية أصلاً. ومحاولات قراءة القرآن باللغة الآرامية أو السريانية تشير إلى أن كثير من القرآن تم استعارته من تلك اللغات[1]. فلماذا استخدم القرآن هذه الكلمات الغريبة في حين كان عنده بدائل عربية لها؟ ولو ادّعى مدعي أنه استخدمها لكونها معرّبة ومشهورة، فلماذا لم يفهم كثير من الصحابة والمفسرين بعض أو أغلب تلك الكلمات؟ هل يريد الإله إضلال حتى أصحاب اللغة الأصلية التي نزل بها وحيه؟ وفي الحقيقة، يبدو أن الإله قد حقق مراده في إضلال العرب! فالعرب لديهم الكثير والكثير من تفاسير القرآن، والتي تشبه في حقيقتها الترجمات!

وفي المحصلة، فإن مخاطبة الخلق جميعهم بلغة واحدة فقط هي دلالة واضحة على بشرية هذا الدين الإسلامي. وأن محاولة المسلمين تبرير هذا القصور في دينهم لن تجدي نفعاً، فالشق أكبر من الرقعة كما يُقال!

(١) يمكن للمهتم البحث عن التفسيرات السريانية للقرآن، فمصادرها متوفرة على الإنترنت.

## إغواء الإنسان

تَبَجُّح القرآن بإغواء الناس ودفعهم للضلال ثم معاقبتهم على ذلك هو من أبرز ملامح الظلم في الإسلام. وفيما يلي أمثلة من الآيات في هذا السياق وتعليقات مختصرة عليها:

- إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ المائدة: يؤكد الله هنا على إغلاق باب الهداية في وجوه الظالمين! فلمن يفتحه إذاً إن لم يفتحه للظالمين والعصاة؟! ومن الذي هدى غير المؤمنين الذين دخلوا في الإسلام؟!

- إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ لاَ يَهْدِيهِمُ اللّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ النحل: وأيضاً هنا نجد أن الله لن يهدي الذين لا يؤمنون بآياته! ومرة أخرى نسأل من سيهدي الله إن لم يهدِ غير المؤمنين؟!

- وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ البقرة: وتتكرر ذات الأسئلة هنا! هل يهدي الله المؤمنين فقط؟ ومن يهدي الكافرين ويجعلهم يدخلون في الدين، الله أم غيره؟!

- وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً ﴿١٢٥﴾ الأنعام: الله يتقصد شخصاً بالضلال، ثم يضيق عليه حياته ومعيشته. وبعد موته يقوم بتعذيبه! هل هذا من العدل؟! حاشا وكلا!

- وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ المائدة: حتى الفاسقين لا يهديهم الله! بل يجعلهم فاسقين طوال حياتهم، ثم يقوم بمعاقبتهم على شيء أجبرهم هو عليه! عبث!

- وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ الزمر: الله يضل الناس ويمنع

عنهم الهداية. ولو لم يرفع الضلال عنهم، فإنه سيعذبهم! ذات الظلم يتكرر!

- أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ مريم: بدلاً من أن ييسر الله الرحيم -بزعمهم- سبل الهداية للخلق، فإنه يرسل الشياطين عليهم لتزيد غوايتهم وفسادهم في الأرض!

- إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ النحل: وحتى مع حرص النبي على هداية الضالين، فإن الله يمنع عنهم الهداية! هل هذا إله عادل؟ أم أن هذه الآية مجرد عذر لتبرير فشل محمد في إقناع الناس بدينه؟ هذا ما أظنه!

وأختم الأمثلة بهاتين الآيتين من سورة يونس: إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾. فهل ثَمَّة تبرير مُقنِع لإرادة إضلال الإنسان القهرية الظاهرة في هاتين الآيتين، ورغبة الانتقام منه لكونه لم يأتِ على هوى محمد؟ والإجابة هي: لا، ليس ثمة تبرير منطقي وعقلاني لهذا الظلم!

اجتهد المسلمون بالطبع قديماً وحديثاً في محاولة تبرير هذه الآيات الظالمة. وتحججوا بحجج كثيرة منها القضاء والقدر والإرادة الكونية والشرعية وغيرها. كما استخدم المسلمون تناقض القرآن في آيات أخرى تدعو للرحمة وتنسب العدل لله لتبرير الآيات الظالمة والمجحفة في حق الإنسان. وقالوا يجب الجمع بين الآيات وعدم الأخذ بمفرداتها. ولجؤوا أيضاً لإسكات المتسائلين، وقالوا إن الخلق مُلْكٌ لله يفعل بهم ما يشاء، بدليل قوله: فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴿١٧﴾ المائدة!

إن جميع هذه المحاولات البئيسة في ترقيع هذا الظلم الصارخ في القرآن لا

تجدي نفعاً. ولو حاول المسلم النظر في القرآن بتجرد وحياد، فسيرى بوضوح أن الآيات التي يمنع الله فيها الهداية عن خلقه إنما هي آيات تبرر فشل محمد في الدعوة[1] بطريقة غير مباشرة، وتُلقِي باللائمة على الله -المزعوم- الذي قرر عدم هداية الناس! كما أنها آيات انفعالية، تُنفِّس عن غضب بشري تجاه أفراد أو جماعات من المعارضين والمنافسين، ولا علاقة لها بإله مطلق العدل والرحمة والحكمة!

## العذاب الأُخْرَوِي

إن الناظر في الإسلام بِتمعّن وشمولية يرى أنه دين ملتبس وغير واضح، تتعدد مذاهبه وتفسيراته وتأويلاته، وتكثر فيه الاختلافات والعداوات. كما تحوم حول أصله ومنشأه العديد من الشكوك والاستفهامات. فإن كان الحال كذلك، فالسؤال يكون: لماذا يرسل الإله ديناً مضطرباً كهذا ثم يعذب بالنار من لا يؤمن به؟

ألم يكن من الأكثر عدلاً أن يرسل الإله ديناً واضحاً قاطعاً لا لَبْسَ فيه ولا شُبْهَة، ثم بعد ذلك يعاقب من لا يؤمن به؟ فالعقوبة على عدم الإيمان تحتاج لدين واضح جليّ بَيِّن لا جِدَال فيه ولا شك -على الأقل عند الغالبية من البشر-. ومن غير هذا الوضوح، فإنه لا يمكن «إقامة الحُجَّة» على الإنسان، وبالتالي لا تجوز معاقبته.

(١) محمد لم يستطع إقناع سوى القليل من الأفراد في مكة حينما كان يحاول استمالة الناس بالكلام المسجوع والوعد والوعيد الأخروي. ولقد زاد أتباعه في المدينة حينما أصبح أكثر واقعية واستخدم القوة في الاستيلاء على الأراضي والغنائم والسبايا والعبيد! قال الشاعر:

دعا المصطفى دهرًا بمكة لم يُجَب ... وقد لان منه جانبٌ وخطابُ
فلما دعا والسيف صَلْتٌ بكفّه ... له أسلموا واستسلموا وأنابوا

ومن جهة أخرى، لماذا يعذب الله غير المؤمنين عذاباً أبدياً بالنار! إن جهنم كما يصفها الإسلام هي عقوبة شنيعة وعذاب وحشي دائم لا ينقطع، يقول القرآن مثلاً: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴿٥٦﴾ النساء، ويقول أيضاً: إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ الكهف. وهذا العذاب الفظيع هو على مجرد فكرة لم يقتنع بها الإنسان! وإنه من المقرر عند العقلاء والمنصفين عدم جواز معاقبة الإنسان على عدم اقتناعه بفكرة أو برأي. فكيف يريد إله الإسلام معاقبة غير المؤمنين به على شيء رفضته عقولهم بإخلاص؟! إن من يعاقب الإنسان على عدم اقتناعه بدين لا يمكن أن يكون إلهاً عادلاً.

ثم ولو سلَّمنا جدلاً بأن الإنسان يستحق العقاب على عدم الإيمان بالإسلام، فلماذا تتم معاقبته أبد الآبدين؟! هل الإنسان الذي عاش في الدنيا وهو غير مؤمن لسبعين أو ثمانين أو حتى مئة وعشرين سنة يستحق عقوبة سرمدية لا تنتهي؟! مليارات ومليارات السنين من العذاب المستمر! إن مقدار العقوبة هنا لا يتناسب مطلقاً مع الجُرم المفترض، وهذا ظلم لا يمكن تبريره.

ومن الظلم الواقع في الآخرة بحسب الشريعة الإسلامية تحميل البعض وزر البعض الآخر دون مسوّغ مقبول. فنجد في القرآن آيات مثل: وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴿٢٥﴾ النحل، فمن أجل أن البعض لم يقتنع بالقرآن ووَصَفَهُ كما يراه (أساطير الأولين) أصبح مجرماً في نظر الإسلام وعليه أن يحمل وزر كل من يقول بمثل قوله، وكأنه هو المسؤول عمّا يعتقده الآخرون وما يقولونه!

آية ظالمة أخرى نجدها في سورة الأعراف: قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا

ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ الأعراف، فما دخْل الأمم السابقة بما تعتقده الأمم اللاحقة؟! إنه من الظلم تحميل الأمم البائدة قرارات الأمم بعدها، فلكل مجتمع وحقبة تاريخية ظروفها ومعطياتها ومبرراتها المختلفة. ثم إن اعتناق الدين يُفتَرض به أن يكون أمراً شخصياً، ولا علاقة للأمم السابقة واللاحقة بما يعتقد المرء صوابه. وهذا ما كان يجدر بالقرآن ترسيخه في أنفس الناس، وليس النظر إلى الإنسان كفرد في قطيع، مجرد تابع لا اختيار له ولا قرار! ثم كيف يكون لكل أمة ضعف عذاب الأمم الأخرى؟! لو نظرنا للأمر كمعادلة رياضية (كل أمة تحصل على ضعف ما تحصل عليه الأخرى) فسيكون لدينا عذاب يشتد ويتصاعد لانهائياً على جميع الأمم وبوتيرة سريعة!

ومن الأحاديث التي تقرر الظلم يوم القيامة قوله: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ هَذَا فِكَاكُكَ مِنْ النَّارِ؛ رواه مسلم. وجاء لفظ آخر للحديث نَصُّه: يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ، فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ أخرجه الطبراني. فما دخل اليهود والنصارى هنا بذنوب المسلمين؟! إن هذا حكم ظالم وخالٍ من المنطق! إنه مجرد كلام مُرسَل ومُلقَى على عواهنه لا زمام له ولا خطام، ولقد ابتُلِيَ به المسلمون واحتاروا في تبريره وتجميله. ولم يكلِّف أحدٌ المسلمين بهذا العناء، هم من أثقلوا على أنفسهم عندما آمنوا بهذا العبث خوفاً من إله محمد والنار التي تنتظرهم بحسب أوهامهم!

وفي المحصلة، فلقد استخدم محمد ودعاة الإسلام من بعده العذاب الأخروي لإخافة الناس وابتزازهم وضمان تبعيّتهم وولاءهم لهم. فلا يوجد إله حكيم عادل رحيم سيقوم بإرسال دين مُلْتَبِس كالإسلام ثم يعاقب على عدم الاقتناع به بهذه الطريقة الظالمة، وبهذه الوحشية السادية التي لا تنم إلا عن نفسية بشرية ذات خيالات إجرامية مريضة!

## المواطَنة

تؤطِّر المواطنة في المفهوم الحديث علاقة الفرد بدولته من حيث الحقوق والواجبات، وذلك وفق مجموعة من القوانين الوضعية. وهذه القوانين قد تطورت خلال مسيرة البشر الطويلة وتراكم تجاربهم ونمو معارفهم، ووصلت اليوم إلى درجة عالية من العدالة والإنسانية. وهي قابلة لمزيد من التطور والتحديث، كونها قوانين حرة تراعي مصلحة الإنسان ولا تخضع لحتمية مقدسة.

الإسلام يخلو من مفهوم الدولة والمواطنة بمعناهما الحديث. فدولة الإسلام تقوم على فكرة «الأمة» التي يكون انتماء الفرد إليها قائماً على الدين أكثر من كونه انتماء لوطن محدد ببقعة جغرافية وجنسية مميزة. والإنسان في دولة الإسلام ليس سوى فرد من الرعية، عليه الخضوع لشرائع الدين والقائمين على تطبيقه من ولاة الأمر. فحقوق الرعية هي ما فرضها الدين، وواجبات الرعية هي أيضاً ما فرضها الدين. وهذا يعني أن الفرد في الدولة الإسلامية محكوم بمجموعة تشريعات مقدسة وجامدة ومتخلِّفة، قادمة من عمق التاريخ، من عصور الظلام والظلم. وبالتالي، لا يمكن للإسلام اللحاق بآخر ما وصلت إليه البشرية من قوانين إنسانية تُعلي من قيمة الفرد المواطن وتمنحه الحقوق والحريات. وحتى لو حاول المسلمون اليوم تبديل شرائع دينهم الأصلية، واللحاق بركب الأمم المتحضرة، فإن هذا سيكون دليلاً على اعترافهم بنقص دينهم وخلله، وأنه ليس بذاك الدين الكامل الذي طالما تَغَنَّوا به!

إن أهم ما يميز المواطنة الحديثة هو تساوي «المركز القانوني» لجميع مواطني الدولة بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية والدينية والفكرية. فالحقوق والواجبات للمواطن «أ» هي ذاتها للمواطن «ب»، سواء كان المواطن «أ» مسلماً أو كافراً وكان المواطن «ب» أسوداً أو أبيضاً على سبيل المثال. وهذه المساواة هي عين العدل، فلا يمكن التمييز بين المواطنين بناءً على فروقاتهم القهرِّيَّة (صفاتهم

الجِبلِّيَّة). فالإنسان لا يختار أبويه ولاجنسه ولا عرقه ولا لونه قبل الولادة، كما أنه في العادة لا يختار دينه أو مذهبه كذلك. وبالتالي فلو مَيَّزنا بين المواطنين بناءً على هذه الفروقات، فإننا نكون قد ظلمنا طرفاً لصالح طرف آخر، ومنحنا حقوقاً لطرف ومنعناها عن الطرف الآخر. وكما أنه من الظلم التمييز بين المواطنين على أسس الفروقات القهرِّيَّة، فإنه كذلك من الظلم التمييز بينهم بناءً على اختياراتهم الحرة التي لا تلحق الضرر بالآخرين. فلو اعتقد مواطنٌ ما أن الإسلام هو الدين الحق واعتنقه ومارس شعائره دون إيذاء الآخرين أو فرض معتقداته عليهم، فإن صنيعه هذا لا يؤثر على مركزه القانوني، وسيبقى مواطناً متمتعاً بحقوقه وقائماً بواجباته. ولو غيّر هذا المواطن رأيه لاحقاً، واعتقد أن الإسلام ليس بالدين الحق، فإن فعله هذا لن يؤثر على مركزه القانوني أيضاً، وسيبقى مواطناً له حقوقه وعليه واجباته. والخلاصة هي أن المواطَنة العادلة لا تحاكِم المواطن بناءً على صفاته الجِبلِّيَّة أو اختياراته الفكرية التي لا تلحق ضرراً معتبراً بالآخرين.

إن حقوق الفرد وواجباته في الإسلام تخالف المواطنة العادلة. فالإسلام يميز بين المواطنين على أسس انتماءاتهم الدينية وعقائدهم الفكرية، وأيضاً بناءً على أجناسهم (رجال ونساء ومغايرين) وعلى طبقاتهم (سادة وعبيد). كما قد يصل به الأمر للتميز بينهم بناءً على أعراقهم وإثنياتهم، وذلك فيما لو نظرنا لتشريعات الإسلام المتعلقة بالقرشية في الحكم وتكافؤ النسب في الزواج. والإسلام بكل هذا التمييز الديني والجنسي والطبقي والعرقي يفتح الباب واسعاً أمام كم كبير من المظالم التي يوقعها بالناس، كما سنرى لاحقاً.

لو نظرنا إلى تصنيف المواطنين في دولة الإسلام بناءً على معتقداتهم الدينية، فإنه سيمكننا تمييز الدرجات التالية بين المواطنين:

١. مواطن درجة أولى: الرجل المسلم المنتمي لمذهب الحاكم، سواء كان مذهبه سنياً أو شيعياً أو صوفياً أو غير ذلك.

٢. مواطن درجة ثانية: المسلم على مذهب آخر مغاير لمذهب الحاكم، كأن يكون الحاكم سنياً والمواطن شيعياً أو العكس.

٣. مواطن درجة ثالثة: المنتمي لأهل الكتاب الذين يدينون بالمسيحية أو اليهودية (وربما المجوسية أيضاً)، وهؤلاء يسميهم الإسلام «أهل الذمة».

٤. مواطن درجة رابعة: المنافق الذي ينتمي للأرض ولكنه دينياً يخالف النظام الحاكم سراً، فيعيش في بلده مضطراً خائفاً، لا يهنأ له بال ولا يطيب له مقام.

٥. مواطن درجة خامسة: العبد الرقيق، سواء كان رجلاً أو امرأة أو طفلاً. والمنتمون لهذه الدرجة يُعامَلون معاملة الممتلكات، فيجوز تشغيلهم بلا مقابل، وبيعهم وشراءهم بالمال، ومبادلتهم، والتفريق بين عوائلهم، وحتى ممارسة الجنس مع العازبات منهم دون حرج. كما أن الطفل الذي يولد لأم من الدرجة الخامسة (أَمَة) يكون عبداً لمالك والدته تلقائياً (ما لم يكن المالك هو أبو الطفل)، وليس لوالدته أو والده في هذه الحالة ولاية عليه!

٦. مواطن درجة سادسة: الوثني أو المرتد الذي أعلن عن أفكاره ومعتقداته، وهذا ليس أمامه إلا التراجع مكرهاً إلى منزلة المواطن المنافق من الدرجة الرابعة، أو مواجهة أحكام «التطهير»[1] العنيف التي يشرعنها الإسلام، فيُقْتَل ولا يسمح له بالوجود!

ولو نظرنا إلى المواطنين بناءً على أجناسهم، فإننا نجد رجال الدرجة الأولى والثانية مُقَدَّمون على نسائهم. فالرجل في الإسلام يتمتع بحقوق لا تتمتع بها النساء. فبمجرد أن يبلغ الرجل، فإنه يصبح مستقلاً وكامل الأهلية، بينما المرأة تبقى محكومة ومقيدة طوال حياتها. كما لا يُسمح للمرأة تولي الحكم أو القضاء،

(١) راجع هنا لمعلومات أكثر عن جرائم التطهير التي تمارسها الأنظمة المستبدة والقمعية.

فلقد قال محمد: لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة؛ رواه البخاري. ولقد تطرقت لوضع المرأة في فصل «حقوق المرأة» من هذا الكتاب، فليُراجَع.

أما المواطنون المغايرون والمتحولون والمضطربون جنسياً من أي درجة، فلا حقوق لهم مطلقاً، ويطبق عليهم الإسلام أحكامه في «التطهير» العنيف، فيقتلهم ولا يسمح لهم بالوجود!

إن الإسلام لا يَمنح المواطنين حقوقاً متساوية، ويميز بينهم تبعاً لدرجة مواطنتهم. فبينما يتمتع مواطنو الدرجة الأولى بحرية التعبير عن معتقداتهم والدعوة إليها، فإن مواطني الدرجات الأدنى لا يُسمَح لهم بذلك. فلا يُسمح لمواطن شيعي مثلاً بالدعوة لمذهبة في دولة سنية، بينما ذلك يكون مسموحاً لمواطن سني. كما لا يُسمح لمواطن من الدرجة الثالثة (مسيحي مثلاً) بإقامة شعائره علانية والدعاية لدينه ودعوة الناس لاعتناقه، بينما ذلك يكون مسموحاً للمواطنين المسلمين من الدرجة الأولى. فالإسلام يجبر المواطنين من الدرجات الدنيا على التخفي وممارسة طقوسهم الدينية بشكل سري ومعزول.

الإسلام يَحرِم أيضاً أبناء مواطني الدرجات الدنيا من الحصول على تعليم عام يتوافق مع معتقداتهم الدينية. فهو يعتبر ما يخالف دين ومذهب السلطة كفراً وضلالة وهرطقة لا يجوز نشرها وتعليمها. وبالتالي، فهو يفرض على جميع الطلاب في المدارس العامة تعلُّم الدين والمذهب الذي تعتنقه السلطة، بغض النظر عن معتقدات الطلاب وأهاليهم.

أما في المجال السياسي، فإن الإسلام يمارس التطهير اللاعنفي على الفئات الأدنى من المواطنين، وذلك عبر إقصاءهم والتضييق عليهم. فمن غير المسموح للمواطنين من الدرجات الثانية وما دون أن يتولوا مناصب عامة عليا، مثل رئاسة الدولة أو قيادة الجيش أو الوزارات، يقول القرآن: وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ النساء. كما يحرض السلطة على إقصاءهم وعدم الوثوق بهم،

فيقول القرآن: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ آل عمران.

أما في المجال التشريعي والقضائي، فلا يُسمَح للمواطنين ذوي الدرجات الدنيا أن يتولوا القضاء، إلا في نطاق ضيق جداً، بحيث ينحصر دورهم على الأحوال الشخصية الخاصة بأتباع دينهم أو مذهبهم.

ومن التمييز الذي تفرضه الشريعة الإسلامية بين المواطنين التفريق في الالتزامات المالية. فالمواطنون المسلمون يدفعون ضريبة تُسمى «الزكاة»، وهي محددة بنصوص مقدسة وبالتالي لا يمكن تغييرها. أما المواطنون من أهل الذمة فتؤخذ منهم ضريبة تُسمى «الجزية»، وهي غير محددة المقدار بل تخضع لرغبة لحاكم يحددها بالمقدار الذي يريده. الأمر مشابه أيضاً في عقوبة الإعدام. فالقصاص من قاتل المواطن المسلم يكون بالقتل، أما القصاص من قاتل المواطن غير المسلم فيكون بالدِّية. والنساء لسن بأفضل حالاً هنا، فعقوبة قاتل الرجل المسلم بالخطأ تكون دية كاملة (مئة رأس من الإبل)، بينما قاتل المرأة المسلمة في ظروف مشابهة يُعاقب بنصف الدية فقط!

إن الإسلام يقدم نظاماً ظالماً وبشعاً في طريقة تعامله مع المواطنين والتفريق بينهم. فهو لا يؤمن بالمواطنه ولا بالمساواة بين المواطنين، ويعلن ذلك صراحة بقوله مستنكراً: أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ القلم. ولو كان هذا الدين من لدن إله حكيم وعليم فعلاً كما يقول المسلمون، لكان سبَّاقاً في إرساء قواعد المواطنة العادلة وإعطاء الناس حقوقهم وحرياتهم، ولَمَا عاقبهم على صفاتهم القهرية أو على اختياراتهم الفكرية المسالمة.

## قتل المرتد

لم يكتفِ الإسلام بتوعّد غير المؤمن به بالعذاب في الآخرة، بل تتبعهم بالعذاب في الدنيا أيضاً! حيث شرع قتال الكافرين وقتل المرتدين. وبينما سنناقش قتال الكافرين (الجهاد) في مكان الآخر، فلننظر هنا إلى حد الردة في الإسلام.

لقد بقي حد الردة (وهو قتل من يترك الإسلام بعد استتابته) مقرراً ومعمولاً به في الإسلام طوال تاريخه. ومؤخراً فقط، بعد تطور حقوق الإنسان في العالم، ظهر من المسلمين من ينفي هذا الحد ويدّعي بأنه ليس من الإسلام! وهذا جيد في الحقيقة، لأن الإنسان السوي يَسْعَدُ برفع الظلم عن المظلومين وبتعزيز الحريات. ولكن كان الأجدر بالمسلمين رافضي هذا الحد أن يَتحلّوا بالمصداقية والشجاعة وأن يعترفوا بنسبة الحد للإسلام، وأن يعلنوا رفضهم له والمطالبة بإسقاطه من التشريعات الدينية والقوانين المقررة في بعض الدول الإسلامية، ومن ثم يعتذرون عن الأذى والأضرار السابقة التي تسبب بها هذا الحد الظالم. أما أن يكتفي الرافضون للحد فقط بالدفاع عن دينهم دون الالتفات للواقع، فهذا لا يجعلهم مدافعين عن الحرية، وإنما يجعلهم مجرد أعضاء في حملة دعائية (بروباغندا) لتجميل صورة الدين!

القرآنيون[١] اليوم هم أكثر المسلمين الرافضين لحد الردة. وهم ينطلقون في رفضهم هذا من رفضهم للسنة. فيقولون إن حد الردة مُشرعَن بالحديث النبوي فقط، مثل حديث: من بدّل دينه فاقتلوه. وطالما أن السنة ليست مصدراً للتشريع عندهم، فإن حد الردة ليس من الشرع تبعاً لذلك! وعلى الرغم من تهافت حجة

(١) القرآنيون جماعة من الاعتذاريين ظهرت حديثاً يرفضون السنة والأحاديث ويجعلون القرآن مصدر التشريع الوحيد. وهدفهم من ذلك مواءمة الإسلام ليتوافق مع معايير العصر. ويقولون يجب إعادة قراءة القرآن في كل زمان وفهمه وفق معطيات ذلك العصر. ولا أدري ما حاجة المسلمين حينها للقرآن إن كانت وظيفتهم ستغدو فقط مواءمته مع معطيات كل عصر؟! سيصبح القرآن حينها تابعاً لا قائداً لهم، وسيكون مجرد عبء لا داعي له!

القرآنيين، إلا أنهم لم يفطنوا إلى أن حد الردة يمكن استنباطه من القرآن أيضاً! ففي الآية رقم ١١ من سورة التوبة[١] يحدد كاتب القرآن طريقة دخول البعض في الإسلام بقوله: فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ. وفي الآية التالية (رقم ١٢) يبيّن عقوبة هؤلاء إن ارتدوا عن الدين: وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ! إذاً فقتال[٢] المرتدين مشروع بنص القرآن وليس كما يدّعيه القرآنيون.

وقد يتحجج البعض بأن الآيات السابقة تبيح قتال المرتدين المعتدين فقط، وليس جميع المرتدين. ولكن هذه الآيات ليست الوحيدة التي تبيح قتال المرتدين دون جريرة! فالآية ١٤ من سورة التوبة تقول: قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ. وعذاب الله هذا بأيدي المؤمنين هو المطلوب لمعاقبة المرتدين في الدنيا بحسب الآية ٧٤ التي نصها: يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ۚ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ۚ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فمن يسأل: كيف يعذب الله المرتدين في الدنيا؟ يكون جوابه في الآية ١٤، أي: بأيدي المؤمنين! وهنا نجد تشريعاً واضحاً لقتال المرتدين في الدنيا على مجرد تراجعهم عن الاقتناع بدين الإسلام وإفصاحهم عن ذلك!

هذا وإن أحكام الردة لم تقف عند قتل المرتد، بل شملت أيضاً إيذاءه مالياً واجتماعياً. فلو نَفَدَ المرتد بجلده وهرب من بلاد المسلمين «الظالم أهلها»، فإن أهله وأبناءه الذين تركهم خلفه سيعانون. فسيتم فصل زوجته عنه. وسيُحرَم

(١) لقد تورط القرآنيون في كثير من أحكام سورة التوبة! وعندما عجزوا عن إيجاد تبريرات لأحكامها العنيفة والظالمة، قاموا بتنحيتها هي الأخرى عن التشريع، والقول بأنها من السور النبوية!

(٢) قد يتحجج البعض بأن «قتال» المرتدين لا يعني «قتل» المرتدين. نعم، يوجد اختلاف لغوي بين اللفظتين، ولكن المحصلة الواقعية هي واحدة. فالقتال يؤدي إلى القتل والغرض هو إخافة الرافضين للدين وإرغامهم على قبوله ولو نفاقاً.

المرتد من حقه في أي ميراث. كما سيتم حرمان أبناءه وأهله من أمواله، حيث ستؤول ملكية تلك الأموال إلى بيت مال المسلمين! وليس هذا فقط، بل سيتم تشويه سمعة المرتد في المجتمع لتنفير الناس منه ومن أفكاره، مما سيعود بالضرر على عائلته!

إن المتأمِّل في عقوبات المرتد يلمس دوافعها السياسية المتسقة مع معايير القرون الوسطى. فالإسلام أقام دولته على أساس الانتماء الديني. فالانتماء للدولة في ذلك الزمان لم يقم على أساس الجنسية الوطنية[1]، وإنما قام على القبول بدين الدولة. وبالتالي، فإن رفض دين الدولة بعد الدخول فيه يعني رفض الولاء للدولة، وهذا يضع الإنسان في خانة «خيانة» الدولة آلياً. وككيان سياسي، شرع الإسلام حد الردة للحفاظ على وجوده. فلو سمح الإسلام للناس بإظهار رفضهم للدين علانية فإن دولته ستنهار! ومن هنا نرى بُعد هذا الدين عن المفاهيم الحديثة، وأنه مجرد دين بشري عفا عليه الزمن ولم يعد صالحاً لعالَم اليوم.

لقد مَنحتْ قوانين حقوق الإنسان الحديثة حرية الاعتقاد للناس جميعاً. كما منحتهم حرية التعبير والدعوة لمعتقداتهم طالما أنها لا تنادي بالكراهية ولا تلحق الأذى بالآخرين. ولكن الإسلام على النقيض من ذلك، ظلم الإنسان حينما حرمه من حرية الاعتقاد وجعله: إما كافراً يستحق القتل، أو كِتابياً ذليلاً من أهل الذمة يدفع الجزية عقوبة له على تمسكه بدينه، أو مرتداً منافقاً يخاف انكشاف أمره حتى لا يُقطَع رأسه![2] وهكذا دين ظالم لا يمكن أن يكون من لدن إله عادل.

(١) مفهوم الوطن الذي نعرفه اليوم لم يكن موجوداً في زمن ظهور الإسلام. فالوطن بمفهومه الحديث بدأ بعد نشوء الإسلام بمدة طويلة، وتحديداً عقب صلح وستفاليا سنة ١٦٤٨م.

(٢) راجع فصل «المواطنة» في هذا الكتاب للمزيد عن التمييز الديني بين الناس في الإسلام.

## ۞ حقوق المرأة

لقد قيل الكثير والكثير عن وضع المرأة في الإسلام، وعن الظلم الذي يلحقها، وعن التمييز الذي تتعرض له بسبب تشريعات هذا الدين المجحفة في حقها والمُمْتَهِنَة لكرامتها ومكانتها. وإنه يمكن تأليف كتب كاملة وتسويد صفحات طوال في هذا الموضوع، ولكني سأختصر كما العادة في هذا الكتاب وأذكر رؤوس أقلام ونماذج على الأذى الذي يُلحِقُه الإسلام بالمرأة.

الإسلام يحتقر المرأة ويجعلها محكومة، وعالة، وناقصة عقل وأهلية. بل إنه يجعلها عورة، أي أنها أداة جنسية ووسيلة لمتعة الرجل وخدمته في منزله. وبعد هذا يمكنها أن تقوم بأدوار محدودة شريطة موافقة الرجل القريب وعدم استثارة الرجل البعيد!

لقد ضَيَّق الإسلام على المرأة في اللباس والخروج والتنقل والعمل، وجعلها شُبْهَة أينما حلّت، يُساء بها الظن كثيراً، ويُنظر لها غالباً نظرة الريبة أو نظرة الشهوة. مما حرمها أو حد من قدرتها على إقامة علاقات طبيعية مع الرجل اجتماعياً أو مهنياً أو غير ذلك.

ولم يكتف الإسلام بما سبق، بل تمادى في امتهان المرأة وشبهها بالحيوانات من حمير كلاب، وجعلها تُقبل وتُدبر في صورة شيطان! حتى أن قارئ القرآن يشعر أحياناً بأنه لا يعتبر النساء من جنس البشر، إذ يقول مثلاً: زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴿١٥﴾ آل عمران. فانظر كيف جعل «الناس» هنا هم الرجال فقط، وجعل النساء[1] من جنس الجمادات والأنعام!

---

(١) القرآنيون كعادتهم يحاولون التملص من كل ما يدين القرآن، ويقولون أن لفظة «النساء» في هذه الآية لا تعني إناث البشر، وإنما تعني الموديلات الحديثة من المنتجات الاستهلاكية!

وبالإضافة لما سبق، فقد جعل الإسلام المرأةَ بنصف شهادة ودية وإرث الرجل! كما هضم حقوقها في الزواج أيضاً. فمنعها من تزويج نفسها، وجعل ولايتها بيد وليها قد يزوجها وهي طفلة أو يرفض من تريد الارتباط به وهي بالغة! كما وجعل الطلاق بيد الرجل يمارسه وقت يشاء ودون مبررات. أما إن أرادت المرأة الانفصال عن زوجها، فإن الإسلام يُصّعب هذا عليها ويضع أمامها الكثير من العراقيل والغرامات! كما ويتجاهل الإسلام حقوق المرأة بعد الانفصال ويظلمها في التعويض والنفقة والحضانة.

ولا يتوقف الإسلام عند الإيذاء المعنوي للنساء، بل يُشرِّع إيذاءهن جسدياً. فيعطي الزوج حق ضرب زوجته بمجرد خوفه من عدم قيامها بواجباتها تجاهه. كما يتغاضى عن جريمة «الاغتصاب الزوجي»[1] ويراها حقاً يمكن للزوج ممارسته دونما غضاضة!

كما ويقوم الإسلام بتحميل المرأة جزءاً من المسؤولية فيما لو تعرضت للتحرش أو الاغتصاب من الغرباء، ويجعلها مسؤولة عن كبح شهوات الرجال تجاهها!

والإسلام يظلم المرأة حتى في الثواب والعقوبة الأخروية. فنعيم الجنة للرجال بشكل أساسي، حيث يحصل الرجل على عشرات وربما مئات وآلاف النساء (الحور العين) للتمتع بهن، بينما المرأة تُجبَر على الاقتران في الجنة بزوجها (أو أحد أزواجها) لتكون واحدة ضمن جيش نساء المتعة! ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن الإسلام يزيد تماديه ضد المرأة في الآخرة ويقرر أن أكثر أهل النار من النساء! وقد يتساءل المرء لماذا النساء الأكثر هناك؟ ويتوقع أن الجواب يكون

---

(١) الاغتصاب الزوجي هو إجبار الزوج زوجته على ممارسة الجنس معه وقتما يشاء. وفي حال كان هناك مانع شرعي يمنعها، مثل الحيض، فيمكنه الاستمتاع بها رغماً عنها ولكن من غير إيلاج، بالتفخيذ مثلاً.

لأن النساء أكثر فساداً وأذية في الدنيا ربما. ولكن الإجابة تأتي صادمة وغير متوقعة كما هي عادة الإسلام! فالنساء أكثر أهل النار بسبب أنهن قد يُنكِرنَ إحسان الرجال لهن في ساعة غضب[١]! ولا يسع المرء حينما يعرف هذا التبرير الإسلامي إلا أن يتساءل: ما هذا العبث والظلم؟!

ومن الظلم الصارخ للنساء في الإسلام تشريع امتلاكهن بِمُلْكِ اليمين. فيُجِيزُ للرجل شراء النساء من السوق، أو أخذهن كسبايا في الحروب، وممارسة الجنس معهن دون اشتراط رضاهن. وله معاملتهن معاملة العبيد، فيستخدمهن دونما أجر رغماً عنهن. كما أن له بيعهن متى ما أراد ولمن يدفع أكثر! كما يتساهل القرآن في مسألة إرغام النساء على الدعارة، ويكتفي بطلب المغفرة لهن -أو لمن أجبرهن على البغاء!- دون أي أمر صريح ومباشر لرفع الظلم عنهن وإنقاذهن ممن يستغلّهن! حيث يقول القرآن: وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ النور!

إن وضع المرأة في الإسلام كفيل ببيان بشرية الإسلام ومدى بشاعته والظلم الذي تحتويه تشريعاته. وإن الإنسان السوي ليعجب من وجود نساء مؤمنات بهذا الدين حتى اليوم! ولكنه التلقين والخوف والعادات الاجتماعية التي أسسها الإسلام ورعاها حُمَاته!

##  العبودية والرق

لا يختلف أصحاب العقول السوية والضمائر الحيّة على أن استعباد الإنسان

(١) يقول محمد في الحديث المتفق عليه: «أُريت النار فإذا أكثر أهلها النساء. قيل: أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت: ما رأيت منك خيراً قط»

لأخيه الإنسان هو ضرب من ضروب الظلم العظيم والجور الأليم. كيف لا والعبودية تحط من قيمة الإنسان إلى مرتبة الحيوان والجمادات، وربما أدنى من ذلك! وتسلب الإنسان أغلى ما يملك: حريته وكرامته، وتُلحِق به الأذى النفسي والجسدي والعائلي والاجتماعي والاقتصادي. وعلى الرغم من أن العبودية كانت منتشرة في قديم الأزمان في غالب البلدان، إلا أن مقاومتها كانت مستمرة دائماً. قاومها العبيد أنفسهم، وقاومها الكثير من أصحاب الأخلاق والضمائر والعقول. ولقد أثمرت هذه المقاومة الإنسانية إلى إلغاء الرق اليوم من جميع دول العالم[١].

لقد وقف الإسلام -كبقية الأديان الإبراهيمية- موقفاً مخزياً من الرق فأقرَّه وسن له التشريعات. والمسلمون اليوم، كعادتهم، يحاولون جاهدين الدفاع عن هذا الظلم ويبررون للإسلام إباحته للعبودية. فيقولون أن الإسلام جاء والرق موجود ولم يستطع منعه لأنه كان ضرورة اقتصادية. وهذا عذر ساذج وغير مقبول. فأين كانت هذه الضرورة الاقتصادية المزعومة عندما حرَّم الإسلام الربا مثلاً؟ ثم كيف يقبل «دين الرحمة والعدل» بإيقاع الأذى والظلم على ملايين وربما مليارات البشر بذريعة الضرورة الاقتصادية؟! هل عجز الإله الحكيم العليم عن إيجاد حل اقتصادي لهذه المشكلة؟! وهل البشر الذين ألغوا الرق وأعطوا العمال حريتهم وفرضوا لهم الأجور ومَنَحُوهُم الحقوق كانوا أكثر علماً وقدرة ورحمة من إله الإسلام؟

يقول المسلمون أيضاً أن إلغاء الرق دفعة واحدة كان سيؤدي إلى مشاكل واضطرابات. وهذا أيضاً عذر مرفوض! فالمسلمون يتباهون بأن الإسلام جاء لتغيير واقع العرب والبشر جميعاً، وأنه حرّم الكثير من مظاهر الفساد والظلم. فلماذا استثنى الإسلام العبودية ولم يحرّمها، سواء مباشرة كتحريم الربا، أو بالتدرّج كتحريم الخمر؟

(١) ما تزال بعض صور العبودية قائمة في بعض البلدان، مثل موريتانيا، ولكنها ممنوعة نظاماً.

يستمر المسلمون بالدفاع عن إباحة الرق ويقولون أن الإسلام أراد إنهاء العبودية عبر تشريع الكَفَّارات والتشجيع على عتق الرقاب! وهذا أيضاً عذر مردود ومرفوض. فمن أراد إنهاء الرق بهذه الطريقة فإن عليه التضييق على مصادره والتوسيع على مصارفه. والإسلام لم يفعل ذلك، بل أبقى مصادر الرقيق متدفقة! فأسرى الحروب وسباياها يصبحون رقيقاً. وأطفال العبيد يصبحون عبيداً أيضاً. وأسواق النخاسة مباحة وتجارتها رائجة في كافة الأقطار الإسلامية. إذاً، فالإسلام لم يُوسِّع باب العتق في الكفارات بحيث يتجاوز عدد العتقاء عدد المستعبدين الجدد. وبالتالي، فعتق الكفارات لن يؤدي أبداً إلى تحرير جميع العبيد.

الإسلام أيضاً لم يدعم عتق العبيد أو يشجع عليه دائماً. فالعبد الآبق (الهارب من سيّده) مثلاً لا يَقبل الله منه صلاته حتى يعود إلى سيده! ولو كان الإسلام جاداً في تقدير قيمة الحرية واعتبارها حقاً إنسانياً، لما أجبر العبد الهارب على العودة إلى العبودية، ولكان فرض عليه أي عقوبة أخرى إن أراد تعويض سيده عن قيمته مثلاً. ومن ظلم تشريعات الإسلام أيضاً تفضيل إهداء العبد إلى الأقارب على منحه حريته! ففي الحديث المتفق عليه: عن أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث أنها أعتقت وليدة (جارية) ولم تستأذن النبي، فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه، قالت: يا رسول الله إني أعتقت وليدتي؟ قال: أوَ فعلت؟ قالت: نعم. قال: أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك!

إن الواقع والتجربة التاريخية تدحض عذر المسلمين في كون الإسلام يريد التخلص من العبودية. فهذا المقصد الإسلامي المزعوم لم يفلح طوال ١٤ قرناً في إنهاء العبودية! ولم تنتهي العبودية في البلدان الإسلامية إلا في أواخر القرن العشرين، وبقرارات دولية. حيث كانت موريتانيا هي آخر بلد في العالم ينهي العبودية بشكل رسمي عام ١٩٨١م!

وعلى الرغم مما وصل له الإنسان اليوم من رقي في مجال حقوق الإنسان،

إلا أن المسلمين لم يُلغوا أو يُجرِّموا تشريعات الرق في كتبهم ونصوصهم المقدسة! وهذا يعني أن المسلمين[١] قد يعودون إلى ممارسة الرق والاتجار بالبشر في أي وقت مستقبلاً إذا ما سنحت لهم الظروف! فأي عدل وأخلاق يتبجح بها أصحاب عقيدة كهذه؟!

إن الدين الذي يشرعن الرق ويسمح باستغلال عذابات الإنسان من أجل مصالح اقتصادية أو توازنات سياسية هو بالتأكيد دين بشري ولا يمت للإله الرحيم العادل بِصِلَة.

##  ظلم الحيوان

لم يقتصر ظلم الإسلام للإنسان، بل تعدَّاه ليلحَق بالحيوان! ومن مظاهر هذا الظلم تشريع الإسلام لذبح الحيوانات[٢] في الحج بالآلاف وربما بالملايين خلال يوم واحد أو بضعة أيام ولغير ضرورة معيشية! ومن فرط الإسراف في ذبح الحيوانات في ذلك الطقس الديني، فلقد واجهت السعودية على سبيل المثال مشكلة حقيقية طوال سنوات في كيفية التعامل مع أكوام اللحوم والفضلات الناتجة عن هذا العبث. ويعود الفضل لأموال النفط التي مكنتها سنة ١٩٨٣م من توفير مسالخ ضخمة وثلاجات كبيرة ووسائل نقل مبردة لاستيعاب وتوزيع اللحوم والتخلص من الأشلاء وذلك تحت مسمى «مشروع الإفادة من الهدي والأضاحي». فقبل وجود هذا المشروع، كانت أكثر الأضاحي تُذبح ويُلقى بجثثها في الطرقات وبين المخيمات وعلى سفوح الجبال. فهدف الحجاج كان

---

(١) ويشاركهم في هذا اليهود أيضاً، فهم لم يلغوا نصوص الاستعباد من نصوصهم المقدسة بحسب ما أعلم.

(٢) ذبح الحيوانات كقرابين للآلهة هو طقس ديني مارسه الإنسان القديم في أنحاء كثيرة من العالم. ومحافظة الإسلام على هذا الطقس البدائي دليل على أصوله البشرية.

تأدية «النُّسُك» وليس أكل اللحم! كانت تلك اللحوم والأشلاء تُدفَن أو تُحرَق أو تتعفن في العراء دون أن يستهلكها أحد! كانت «مِنى» حينذاك تتحول إلى مسلخ منتن وقذر نتيجة للقتل العشوائي لتلك الحيوانات المسكينة[1]. ولقد سمعتُ عن بعض التجار ضعاف الأنفس في تلك الأيام الذين كانوا يأخذون من الجثث الملقاة ويطبخونها للزبائن في مطاعمهم في مكة والبلدات التي حولها!

وفي مظهر آخر من مظاهر ظلم الإسلام للحيوان، فإننا نجد الإسلام قد جعل نعيم الإنسان في الجنة نعيماً حيوانياً متمحوراً حول الأكل والشرب والراحة والجنس. وهكذا نعيم هو مما تحبه وترغبه الحيوانات أيضاً. فلماذا يَحرِم الإسلام الحيوانات من هكذا نعيم؟

يَدّعي الإسلام أن الله هو خالق كل شيء بما في ذلك الحيوانات. وعليه، فهو قد خلق الحيوانات في بيئة الأرض القاسية، وحرمها من العقل الذي كان سيساعدها في تجاوز الكثير من مصاعب حياتها (أسوة بالإنسان). ونحن نرى الكثير من الحيوانات التي ظُلِمت وأُوذِيَت، والتي مرضت وتعبت، والتي شقيت وحزنت دون ذنب أو جريرة اقترفتها. فلماذا لا يجعلها هذا الإله تتنعم بمتع الجنة الحيوانية نظير ما أصابها في الدنيا؟

إن تَنعُّم الحيوانات في الجنة سيكون أقرب للعدل والرحمة من مجرد تحويلها إلى تراب يوم القيامة بعد محاسبتها[2]! وقد يجادل البعض بأن العجماوات

(١) ثمة إشارات عابرة عمّا كان يحدث في منى قديماً بخصوص الأضاحي في هاتين المقالتين الحديثتين في صحيفتي البلاد وَ مكة السعوديتين. ويمكن للمهتم البحث في ملفات البنك الإسلامي للتنمية كونه المعني بمشروع الإفادة من الأضاحي.

(٢) جاء في الحديث الصحيح: يقضي الله بين خلقه الجن والإنس والبهائم، وإنه ليقيد يومئذ الجماء من القرناء، حتى إذا لم يبق تبعة عند واحدة لأخرى قال الله: كونوا ترابا، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً.

(الحيوانات) لا تملك عقلاً، وبالتالي لا تدرك شقاءها، وعليه فليس لها نعيم وليس عليها عذاب. ولهؤلاء أقول: إن كان الأمر كذلك، فلماذا يبعثها الله ويقضي بينها حتى تقتص الشاة الجلحاء من الشاة القرناء، ثم يُصيِّر الجميع تراباً؟! فإن كانت البهائم لا تدرك شقاءها الأبدي، فهي أيضاً لا تدرك مظالمها الطارئة. وبالتالي يكون حسابها والقصاص بينها في حكم استحقاقها للنعيم والعذاب، عبثي ولا داعي له!

إن ظلم الحيوانات وقتلها دون حاجة وعدم تعويضها عمّا لحقها من عذاب وشقاء في الدنيا هو جانب ظاهر من المظالم التي شرعها الإسلام. وهذه المظالم تدل بوضوح على بشرية هذا الدين وعبثية تشريعاته.

* * *

# الجناية على العقل

بعد أن استعرضنا بعض مظاهر الظلم في الإسلام، نتطرق في هذا الفصل إلى جناية الإسلام على العقل. وعلى الرغم من الدعاية والشعارات التي يبثها المسلمون للترويج لدينهم بأنه يحترم العقل ويحث على التفكير[1]، إلا أننا سنرى كيف يُلحِق الإسلام بعقل الإنسان أشد الضرر.

##  تعطيل العقل وسلب الحرية

لا خيار للمسلم بعد حكم الله ورسوله! كما لا يحق له التفكير أو الشك في صلاحية ما شرعه الله، أو الإتيان بتشريع بديل. ومن ظن أن العقل يمكنه الإتيان بتشريع أفضل من تشريعات الله فهو كافر مُخلّد في النار! وهذا ما يقرره القرآن في مواضع كثيرة، مثل: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ النساء. ومثل: إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يوسف. ومثل: وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ المائدة.

وللإنسان أن يتساءل هنا: كيف يمنح الإلهُ الإنسانَ عقلاً وحريةً ثم يسلبهما منه بإعطائه حلولاً جاهزة لا يمكنه فحصها أو نقدها أو تنحيتها أو الاعتراض عليها؟! إن مثل هذه المعاملة تليق بمن ليس عنده عقل، أو بمن هو مسلوب الحرية. وقد يكون هذا بالفعل ما يقرره الإسلام صراحة:

- فلقد نفى الإسلامُ العقلَ عن أكثر البشر الذين لا يؤمنون به حين

(١) سنتناول زيف دعوة الإسلام للتفكير في فصل «المغالطات» تحت موضوع «الشعارات الزائفة»

قال القرآن: بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ العنكبوت.

- وسَلَبَ الحرية من المؤمنين به حين قال: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴿٣٦﴾ الأحزاب.

ونجد معاداة الإسلام الصريحة للعقل في آية أخرى أيضاً، حيث يقول: وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ الملك. فكل من لم يؤمن بالإسلام بحسب هذه الآية يكون غير عاقل، حتى وإن امتلك عقلاً في الحقيقة؛ فالعقل الذي لا يوصِل صاحبه إلى الإيمان بالإسلام هو في حكم العدم! وحتى لو استخدم الإنسان عقله واتّبع النتيجة المنطقية التي تَوصَّل لها بعد التفكير في هذا الدين، فإنه يبقى بلا عقل بحسب هذه الآية! وفي هذا قمع للعقل وترهيب للناس من استخدامه، لأن استخدامه قد يؤدي بصاحبه إلى العذاب الأبدي في النار! لذا فمن الأسلم أن يمتنع الإنسان عن التفكير ويعطِّلَ عقله ويَتَّبِعَ ما جاء به الدين لكي يَسلَم!

ومن هنا يتضح أن الإسلام يمارس الابتزاز العاطفي[١] على البشر في محاولة إلغاء عقولهم ومصادرة حُرياتهم. وأكثر ما يبتزهم به هو تخويفهم وتهديدهم بالعذاب. يقول القرآن في آية أخرى: فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ النور. ومن يقع في حبائل ابتزاز الإسلام فإنه يغدو أسيراً بالكامل لهذا الدين وتعاليمه بدافع الخوف. فيفقد حرية التفكير وحرية التعبير والقدرة على النقد، ولا يبقى أمامه سوى الانقياد الكامل للإسلام وللناطقين باسمه من علماء وشيوخ! وليت أن الأمر يقف عند هذا الحد، بل يصبح المؤمن يتهم نفسه ويتهم عقله فيما لو فَكَّر بشيء يخالف الدين! فيغدو

(١) الابتزاز العاطفي هو أحد أشكال التلاعب النفسي، ويحدث خلاله استخدام منظومة من التهديدات وأنواع مختلفة من العقوبات يوقعها شخص ما على آخر قريب منه في محاولة للسيطرة على سلوكه. وسنتطرق له لاحقاً في فصل «أخلاق الإسلام».

يرى خطأ الدين ولا يعترف به، بل يناقض نفسه ويكابِر مع مجادليه، ويُصرّ على أن الدين هو الصواب وكل ما غيره هو الباطل! على طريقة: عنز ولو طارت!

إن العقل هو الأداة الوحيدة التي يمتلكها الإنسان لإدراك الوجود ولتحليل الموجودات والحوادث ومن ثم الحكم عليها. ونتيجة لتنحية العقل ومعاداة حرية التفكير، فَقَدَ المسلمون القدرة على تحليل ونقد أوضاعهم وإيجاد الحلول لمشاكلهم. لقد توفقوا عن التطوّر وتمسكوا بأفكار ناقصة عتيقة حسِبوا أنها جاءت من عند الإله! لقد استسلموا تماماً للدين، وأصبحوا يلتمسون عنده الحلول الجاهزة لجميع شؤونهم. وبتخلي المسلمين عن جزء من عقولهم وخوفهم من استخدامها ومعاداتهم لها فإنهم قد تَخلَّوا عن جزء كبير من إنسانيتهم للأسف. فأي دين هذا الذي يَجني على معتنقيه كل هذه الجناية؟!

##  الغيبيات

الإيمان بالغيب في الإسلام يعني التصديق بكل أمر لا يعلمه إلا الله ولا يمكن للإنسان معرفته إلا عن طريق «الوحي الإلهي» المزعوم الذي أخبر به النبي. ومن أمثلة الغيبيات: الإله وصفاته والملائكة والجنة والنار إلخ. يَفرِض الإسلام الإيمان بالغيب على أتباعه دون منحهم أي دليل حسي أو عقلي عليه، وهذا مما يتناقض مع العقل حتماً! وإنه لمن العبث أن يَخلُق الإله -المزعوم- الإنسانَ في عالم الشهادة[1] ثم يطالبه بالإيمان بالغيب ويحاسبه على ذلك! إن هذا يشبه وضع شخص في مختبر للكيمياء، وتقديم جميع مراجع الكيمياء له، ومطالبته بالدراسة والبحث في مجال الكيمياء، ثم في النهاية اختباره في مادة الجغرافيا!

(١) «عالم الشهادة» هو تعبير يُستخدم في مقابل عالم الغيب. وهو يعني العالم المشهود الذي يمكننا إدراكه بحواسنا أو قياسه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

كيف يستقيم تجهيز الإنسان بهذه الحواس التي تتعامل مع الوجود المادي، ومنحه العقل الذي يُمكّنه من إدراك وفِهم هذا الوجود المادي، ثم مطالبته بالإيمان بعوالم ماورائية (ميتافيزيقية) لا دليل على وجودها؟! إن هذا السلوك هو امتهان للعقل، ومحاولة لتعطيله وإخراجه من دائرة صنع القرار، ومنعه من تحديد مصير الإنسان.

ولو أن هناك إله حقيقي يريد اختبار عباده في الدنيا بواسطة دين يرسله لهم، فإنه ما كان سيقيم دينه هذا على ما هو غيبي، بل كان سَيُقِيمه على ما هو مشهود (أي العالم الواقعي الذي يعيش فيه الإنسان). ولجَعَلَ هذا الإله العمل الصالح فريضة على عباده في الدنيا ومن أجل الدنيا. وبهذه الطريقة، فإن الإله سيحقق عدة منافع:

١. سيجعل عباده «عقلانيين» يستخدمون عقولهم التي وهبها لهم.
٢. سيجعل عباده «عَمَليين» يَتْبَعون المصلحة من أجل تحسين حياتهم وتطويرها.
٣. سيجعل عباده «عِلْميين» يتمسّكون بالعلم ومنافعه ويبتعدون عن الخرافة ومساوئها.
٤. سيحمي نفسه من إقامة الحُجَّة عليه. فالإله سيكون قد وضع البشر في بيئة مغلقة يُمكِنهم بحثها ومعرفتها وتطويرها، وليس هناك شيء خارج تلك البيئة (غيبيات أو ماورائيات) يرتبط بها مصيرهم. فهذه الماورائيات قد يقتنع بها البعض وقد لا يقتنع. فالقناعة بها تقوم على مجرد أماني أو على منطق ركيك يسهل نقضه، وليس للعقل فيها كبير نصيب. وفي هذه الحالة سيكون لمن لا يؤمن بتلك الماورائيات حجة على الإله لو أراد الإله محاسبته عليها.

وفي المحصلة، فإن قيام الدين على الغيب يدل بوضوح على هدف مؤسس

الديـن المتمثِّـل فـي جعـل النـاس يتبعونـه اتِّباعـاً أعمـى بحجـة الخـوف مـن إلـه ميتافيزيقـي يملـك نـاراً ميتافيزيقيـة يعـذب بهـا النـاس! وفـي هـذه الحالـة لا يكـون للعقـل والعلـم كبيـر قيمـة، بـل ولـن يكـون للدنيـا أيضـاً كبيـر قيمـة، ففسـادها وصلاحـها سـيان. المهـم هـو صـلاح الآخـرة (الغيـب)، وهـذا الصـلاح لا يـأتِ بصـلاح الدنيـا عبـر العقـل والعلـم، وإنمـا باتبـاع مؤسـس الديـن! وهكـذا ديـن يقـوم علـى هكـذا غيـب ليـس إلا وصفـة خبيثـة للاسـتبداد وقهـر الإنسـان وتجريـده مـن حريتـه وعقلـه!

##  الخرافات والأساطير

يمتلئ الإسـلام بالخرافـات والمعجـزات والأسـاطير والخـوارق، وفيمـا يلـي بعـض النمـاذج:

- استخدام الأنبياء لوسائل نقل غريبة، مثل سفر محمد إلى السماء على ظهر دابة وتنقّل سليمان عبر الريح.
- تحويل الجمادات إلى كائنات حية، مثل تحويل عصا موسى إلى ثعبان وإخراج ناقة صالح من الصخر.
- شق البحر لموسى والقمر لمحمد.
- تكرار أساطير الشعوب القديمة، كأسطورة يأجوج ومأجوج وذي القرنين.
- كلام الحيوانات مع البشر.
- تأثير الجن والملائكة والسحر.
- ربط الظواهر الطبيعية بغضب الآلهة، مثل الخسوف والكسوف والرياح.

- تأثير الكلام المجرَّد (الدعاء) على الأشياء والظواهر الطبيعية.

الإسلام يُقدّم هذه الخرافات كحقائق لا شك فيها البَتَّة، ويُكفِّر من لا يؤمن بها ويتوعَّده بالعذاب الأبدي في نار جهنم! كما أنه يجعل من هذه القصص والأحداث اللاعقلانية ركناً ركيناً في بناء عقيدته وتشريعاته، ويستخدمها في الدعوة والوعيد وضرب الأمثال واستخلاص العِبَر.

ويبدو جلياً مدى اتساق الإسلام في هذا المجال مع فكر القرون الوسطى وتماهيه مع حدود المعرفة التي كانت منتشرة حينها بين الناس. وهو بهذا يدلل بشكل قاطع على بشريته واستحالة قدومه من عند إله يُفترَض به أن يكون عالماً وحكيماً.

ولنناقش باقتضاب جانباً من جوانب الخرافة في الإسلام، وهو معجزات الأنبياء. إن موقف الإسلام من المعجزات مُلْتَبِس. فهو يقول أنه لن يَمنح الرسول محمداً أي معجزة لأن هذا الأسلوب فشل مع الأمم السابقة، كما جاء في القرآن: وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴿٥٩﴾ الإسراء. ولكننا نجد القرآن يستشهد بمعجزات الرسل السابقين ويطلب من الناس الإيمان بها! فكيف يقول إنه لن يعطي محمداً معجزة لأن الناس سيكفرون بها، ثم يطلب من الناس الإيمان بمعجزات لم يروها لأنبياء سابقين؟! ولا يكتفي الإسلام بالتناقض عند هذا الحد، بل نجده يتراجع عن كلامه السابق ويعطي محمداً معجزة «انشقاق القمر» و «الإسراء والمعراج» وغيرها كما يزعم كثير من المسلمين!

إن الاستشهاد بالمعجزات يجعل الإسلام غير صالح لكل زمان كما يدّعي المسلمون. فالمعجزة حُجّة على من يشهدها، وهي لمن سواه مجرد غيب. وهذا النوع من الغيب نسبة تكذيبه أعلى من نسبة تصديقه، لأنه من خوارق العادات وقد يكون مستحيل الوقوع، أي أنه مجرد أساطير أو خرافات. وبالتالي، فطرح تلك الأحداث كحقائق يقينية يزيد من إشكالية الدين، ويمنح الكافرين

تبريراً إضافياً لرفضه. فهل الله كان حريصاً على صد الناس عن دينه حينما أورد القصص الأسطورية في كتابه، أم أن كاتب القرآن لم يجد شيئاً يملأ به كتابه سواها؟! ولقد فطن الناس زمن محمد لهذه الإشكالية وحاججوه بها، كما أشار لذلك القرآن في قوله: وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ الفرقان.

يُحدِّثنا القرآن أيضاً عن قدرات الله الخرافية التي لا دليل عليها ولا فائدة من معرفتها أصلاً! مثل مخاطبة الله: للأجرام السماوية وللأرض وللجمادات كالنار والجبال وللعجماوات كالطيور والحيتان! ثم يقوم بتصوير هذه الأشياء ككائنات عاقلة تسمع وتستجيب وتفكر وتختار!

وبالإضافة لهذا العبث، فإن الإسلام يجعل الإنسان يعتقد ويؤمن بوجود مخلوقات غيبية (ماورائية أو ميتافيزيقية) لا دليل على وجودها، مثل الملائكة والجن والشياطين. ويحث الإنسان على حبها وتقديرها أو كرهها والخوف منها! كما أن الإسلام يوهم الناس بحقيقة السحر والعين وضررهما. وفي الحقيقة، فالإيمان بأن لأعمال الشعوذة وللأشباح تأثير وتداخل مع الواقع يؤثر سلباً على الصحة النفسية والسلامة العقلية لأعداد كبيرة من المسلمين!

إن العقيدة المتضمنة للخرافات والأساطير تحكم على معتنقها بالجمود العقلي، وتحدد له سقفاً معرفياً لا يتجاوز ما كان سائداً في الأزمنة الغابرة، أزمنة الجهل والطفولة العقلية! والإيمان بهكذا عقيدة ليس إلا جريمة في حق العقل. فهذه العقيدة حتماً لا تصلح للإنسان الحديث الذي يسعى نحو المزيد من العلم والمعرفة الحقيقية، ولا يقتنع إلا بالتجربة والدليل والبرهان.

## منع الأسئلة

يَمنع الإسلام أتباعه من مساءلة الله أو مناقشة أحكامه، حيث يقول القرآن عن الله: لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ الأنبياء.

ويمنع الإسلام أيضاً من طرح الأسئلة على النبي، حيث يقول القرآن: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ المائدة.

إذاً، فالإسلام يبرر منع طرح الأسئلة على النبي بالتخفيف على المؤمنين، لأن السؤال يستلزم إجابة، والإجابة قد تأتي بتشريع جديد سكت عنه الله، وقد تأتي بأمر شديد لا يطيقه المؤمنون أو غريب لا يصدقونه، فيكون ذلك وبالاً عليهم! ولا يمكن تصوّر دين يدّعي أنه من عند الخالق العالم بكل شيء ثم يمنع الأسئلة ويخشاها! إن منع سؤال النبي بهذه الطريقة يعني أن الله ليس لديه أحكام مسبقة محددة في اللوح المحفوظ كما يدّعي. بل هو إله انفعالي يغضب لمجرد السؤال ويعاقب عباده جميعاً -وليس السائل فقط- بمزيد من التشريعات والأحكام الانتقامية الجديدة، عوضاً عن معاملتهم برحمة وإجابتهم بحكمة!

يقول محمد في الحديث المتفق عليه: دعوني ما تركتكم، إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نَهيتُكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم؛ متفق عليه.

ونجد في هذا الحديث سبباً آخراً يسوقه الإسلام لمنع سؤال النبي، وهو الادّعاء بأن طرح الأسئلة يقود إلى الاختلاف! وهذا مخالف للحقيقة التاريخية وللواقع المجرَّب! فالتاريخ والواقع يقولان أن طرح الأسئلة هو بداية كل معرفة، وبالتالي فالأسئلة تزيد من علم الإنسان، وكلما زاد العلم قَلَّ الاختلاف وليس

العكس.

المجال الآخر الذي منَع الإسلام السؤال عنه هو مجال الأسئلة الوجودية. فلقد منَع المسلمين من طرحها على الآخرين وحتى على أنفسهم، مثل سؤال: من خَلَقَ الله؟ كما اعتبَر أن هذه الأسئلة من وسوسة الشيطان! وقدّم لها أجوبة أو تأويلات محددة، وأوجب على المسلمين اتِّباعها وعدم مخالفتها. قال محمد: يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقول من خلق كذا وكذا؟ حتى يقول له من خلق ربَّك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته؛ رواه مسلم.

لو حاول الإنسان فهم السبب الحقيقي لمنع الأسئلة في الإسلام، فإنه يَستَشِفّ رغبة محمد في سد باب قد يؤدي إلى فضح كذبه. فكثير من أحكام دينه غير عقلانية، ولو تُرِك الباب مفتوحاً للاعتراضات العقلانية والمنطقية، فإن حقيقة الدين ستنكشف وسينهار المشروع كاملاً.

وإن كان فقهاء الإسلام بعد محمد قد فتحوا الباب للأسئلة، فإنه فَتْحٌ مشروط بقبول إجابات الدين وعدم رفضها أو تحدِّيها. وحذَّر أولئك الفقهاء الناسَ من أنَّ عدم قبول إجابات الدين على أسئلتهم يُعَدُّ معصية تستوجب العقوبة في الدنيا والآخرة! كما حرَم أولئك الفقهاء المسلمين من تعلُّم مهارات التفكير والتحليل والاستنتاج، فمنعوا عنهم علم المنطق والفلسفة مثلاً ، فقال بعضهم «من تمنطق فقد تزندق». وغرسوا في عقولهم اتِّباع أوامر الدين حتى وإن لم يعرفوا مبرراتها ولم يفهموا الحكمة منها! وكانوا يروون عن علي بن أبي طالب قوله: «لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخُفِّ أولى بالمسح من أعلاه»!

وبمثل هذا التخويف والتجهيل يستمر الإسلام، ويستمر الحكم على عقول المسلمين بالجمود، وإرغامهم على قبول الإجابات المُقَولَبة والجاهزة. وأمَّة هذا حال أفرادها لا يمكنها أن تتطور اجتماعياً أو حقوقياً أو سياسياً أو علمياً أو صناعياً.

إن الموقف المخزي للإسلام من طرح الأسئلة وإعمال العقول هو دليل واضح على بشرية هذا الدين. ورغبته في تكوين مجرد أتْباع يفعلون ما يُؤمَرون دونما تفكير أو اختيار حُر. ولا يمكن أن يكون هذا مراد إله يزعم أنه الخالق وأنه واهب العقل والحرية للبشر!

* * *

# المغالطات

يحاول الإسلام دائماً الظهور بمظهر المنتصِر على مخالفيه. ويزعم أنه صاحب الحجة الدامغة والرد المُفحِم، وأنه قد سد أبواب الشك جميعها أمام الخلق، وأجاب على كل شُبُهَاتِهِم[1]، وأنه لم يَعُدْ أمامهم إلا الإيمان به أو القبول بجهنم! ولقد صَدَّق المسلمون هذه المزاعم تحت وطأة التقديس والخوف من العذاب، وآمنوا بأن للإسلام الكعب العالي في مقارعة الحجج ومنازلة الخصوم والرد على المشككين! فأصبحت عندهم ردود القرآن والسنة على المخالفين هي الردود المفحمة والحجج الدامغة، حتى وإن كانت تلك الردود هزيلة وجوفاء! فوجود رد على كل شبهة هو الغاية عند المسلمين، بغض النظر عن قوة تلك الردود وحُجِّيَتِهَا. وإذا ما نظرنا للواقع وجدنا أن الإسلام لا يَكاد يُقنِع أحداً من غير المسلمين[2]! وسنستعرض في هذا الفصل معاً عزيزي القارئ بعض مغالطات الإسلام ونحاول تفنيد عدد من حججه وبيان خوائها.

##  غياب الأدلة

يُقدِّم الإسلامُ «اللهَ» كتفسير وحيد للكثير مما يجهله أو كان يجهله الإنسان! فعندما لا يعرف الإنسان من خَلَقَ الكائنات مثلاً، فإن هذا الدين يتقدّم ويدّعي بإن إلهه «الله» هو خالق هذه الكائنات، بل وخالق كل شيء، ومدبر كل

(١) «الشبهة» تعبير إسلامي يُستَخدَم لإدانة أي اعتراض أو تشكيك أو نقد للإسلام حتى قبل تمحيصه والرد عليه! فإدانة الإسلام مرفوضة ابتداءً بغض النظر عن صحة تلك الإدانة من عدمها!

(٢) سيقول بعض المسلمين هنا بأن الإسلام هو أسرع الأديان انتشاراً. ولكن الحقيقة هي أن انتشار الإسلام يعود لزيادة نسبة المواليد المسلمين، ولا علاقة لها باعتناق أُناس جدد له.

شيء، وهو سبب كل شيء، وما إلى ذلك. وهذا النموذج من الآلهة يُسمَّى «إله الفجوات» لأنه يقوم بملء أي فجوة معرفية يعاني منها الإنسان بمجرد ادِّعاء بلا أدلة!

إن القرآن يكتفي بطرح الادعاءات، ويجعلها في مقام الحقائق الثابتة، ثم يبني على هذه الحقائق المزيَّفة تشريعات ويفرض بها تكليفات على البشر. فمثلاً، نجده يدّعي أن: اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ الزمر. ثم يجعل **هذا الادّعاء** في مقام الحقيقة المطلقة دون تقديم أي دليل عليه، ويستخدمه لمطالبة الناس بعبادة الله لأنه الخالق المستحق للعبادة! فيقول: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ البقرة!

والقرآن يستخدم عدة أساليب للتهرُّب من تقديم أدلة حقيقية ومقنعة على ادعاءاته تلك. فلو طالَب أحدهم مثلاً بِدليلٍ على أن الله هذا هو الخالق الفعلي، فإن كاتب القرآن سيتهرّب من تقديم أي دليل حقيقي، وسيطلب من السائل النظر إلى نفسه أو إلى الجبال والإبل إلخ. وذلك في محاولة لإيهام السائل بأن هذه الأشياء هي الدليل على كون الله هو الخالق! يقول القرآن: وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ الذاريات، ويقول: أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ الغاشية!

فأين الدليل هنا على أن أنفسنا والإبل والسماء والجبال والأرض هي من خلق إله الإسلام (الله) هذا؟ لماذا لا تكون من خلق إله غيره أو تكون قد وُجِدَت بأي طريقة أخرى؟! فأي مغالطة هذه وأي استخفاف بالعقول هذا عندما يطرح القرآن هذه الادعاءات ويحتجّ بها على الناس بينما هو لم يُبرهن عليها أصلاً؟!

وللقرآن أساليب أخرى في المغالطة والتهرّب من تقديم أي دليل حقيقي يُثبِت به كلامه. فنجده في أحيانٍ كثيرة يضع عبء الإثبات على من يطالبه بالدليل!

فلو سأل أحدهم مثلاً: أين الدليل على أن الله هو خالق الحشرات؟ فإن إجابة القرآن قد تكون على النحو التالي:

- قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ يونس،

- أو قد يقول: إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴿٧٣﴾ الحج،

- أو: أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ الرعد،

- أو: هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ لقمان.

ونرى هنا كيف أن القرآن لا يعطي أي دليل على أن الله هو الخالق، بل يريد من الآخرين إثبات أن غير الله يمكنه الخلق! أي أنه يتهرب من إثبات ادعاءاته ويُلقي بعبء الإثبات على الآخرين. فإن فشلوا في تقديم الإثبات، جعل فشلهم بمثابة الدليل على صحة ادعاءاته! وبعبارة أخرى: ادعاءات القرآن صحيحة ولا تحتاج لإثبات بدليل افتقار ادعاءات الآخرين للإثبات! وهذا يعني أن القرآن لا يملك غير التلاعب بالألفاظ والاحتكام لجهل الآخرين واللجوء للمغالطات المنطقية الدائرية! ولو نظر المسلم بعين العقل لرأى أن ادعاءات القرآن هنا لا تختلف عن ادعاءات أي مؤمن بدين آخر ينسب لإلهه القدرة على الخلق.

هذا، ونجد القرآن تارة أخرى يتهرب من تقديم الأدلة باللجوء إلى تحقير السائل أو تهديده بالعذاب، مع محاولة الخروج من الجدال بمظهر المنتصر وإظهار مخالفيه بمظهر الجهلة المعاندين. فلو جادل أحدهم النبي أو أحد الفقهاء، فإن الجواب عليه يمكن أن يكون من قبيل: إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ

اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ غافر؛ هكذا دون تقديم أي تفنيد أو حجة أو دليل مضاد!

وقد يحاول القرآن المراوغة وتشتيت الخصم للهروب من تقديم الأدلة. فمثلاً، نجد في القرآن آية كهذه: وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴿٧﴾ الرعد. ثم نقرأ بعدها آيات طويلة تكرر ادعاءات القرآن بأن الرسول مجرد نذير، وأن الله يعلم ما في الأرحام، وأنه عالم الغيب والشهادة، وأنه يعلم الأقوال سرها وعلانيتها، وما يحصل في الليل والنهار، وأن له معقبات من أمره، وأنه يملك الرعد والبرق والصواعق، وكلام كثير لا علاقة له بتقديم الدليل المطلوب وهو إنزال آية (معجزة مادية)! فأي نوع من المحاجة المتهافتة هذه؟!

لقد فشل القرآن في تقديم أي أدلة مقبولة على ادعاءاته التي ساقها وملأ بها الدنيا ضجيجاً. والمؤسف فعلاً أن هذه المغالطات والادعاءات قد انطلت على المسلمين، وصدّقوها واعتقدوا جازمين أن الله هو الخالق والمدبر والمستحق للعبادة وحده وما إلى ذلك. ولو نظر المسلمون بعين فاحصة وتخلَّوا عن بعض التقديس الأعمى لرأوا أن كل ما لديهم هو مجرد كلمات وجُمَل قرآنية تدّعي ما يؤمنون به، وليس عندهم دليل مادي قوي يدعم إيمانهم! والأمل معقود بأن يتنبّه المسلمون لهذه المغالطات والادعاءات الجوفاء التي تمادى فيها الإسلام كثيراً، وأن يُنقِذوا أنفسهم من هذا الوهم الذي عاشوا فيه على مدى ١٤ قرناً.

##  دين الفِطرة

يَدَّعي القرآن أن الإسلام هو دين الفطرة[1]، حيث يقول: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ

(١) ثمة بالطبع إشكالات وعدم اتفاق على مفهوم «الفطرة» ولكني لن أتطرق لها. سأتبنى هنا مفهوم الإسلام عن الفطرة من أجل إظهار تناقضه فيما يدَّعيه.

حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ الروم. ومن الغريب أن نجد ما يدحض هذا الادعاء في الآية نفسها، التي يقول في آخرها: وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ! فكيف يكون دين الفطرة ولا يعلم الناس أنه كذلك؟! فالناس يدركون فطرتهم بحكم الطبيعة، ولو كان الإسلام دين الفطرة فعلاً لعرف الناس -أو أغلبهم- بهذا. فالإسلام سيكون حينها متوافقاً ومتسقاً مع فطرتهم ويجب أن لا يجدوا في أنفسهم مقاومة قوية لقبوله واتِّباع تعاليمه.

لقد أقام محمد في مكة طيلة ١٣ عاماً ولم يستطع إقناع سوى العشرات! ثم انتقل إلى المدينة وهناك شرع القتال من أجل نشر الدين وإدخال الناس فيه، حيث قال: أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى؛ متفق عليه. فلماذا يحتاج «دين الفطرة» لكل هذا المجهود في إقناع الناس بفطرتهم؟! كان من المفترض أن يكون اقتناع الناس به أسهل وأكثر سلاسة.

وقد يَرُدّ البعض على ما سبق بحديث محمد الذي يقول فيه: كل إنسان تلده أمه على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه؛ متفق عليه. بمعنى أن فطرة الإنسان قد تتشوه أو تفسد بتأثير التربية والتعليم والمجتمع. والجواب على هذا يكمن في النظر إلى حالة المجتمعات الإسلامية الأصيلة التي يولد فيها غالبية البشر على الإسلام. فنحن نجد أن هذه المجتمعات تُربِي الناس على الإسلام منذ نعومة أظافرهم، وتعطيهم جرعات كبيرة من التعليم الديني. ومع ذلك تحتاج لدعوة مستمرة، وبشكل شبه يومي، من أجل حث الناس فيها على التقيّد بالإسلام والحفاظ على شعائره. فيقف الدعاة على المنابر ويَظهرون في الإعلام من أجل مدح الدين وتسويقه والدعوة إليه وتهديد مخالفيه. كما يجوبون الطرقات والأسواق للتأكد من تَمَسُّكِ الناس بتعاليم الدين وعدم الخروج عليها!

وفي هذا دليل على بطلان كون الإسلام دين الفطرة، وأن هذا ليس سوى إدعاء هدفه تسويق الدين وخداع الناس. ولو كان الإسلام دين الفطرة فعلاً لوجده الناس متسقاً مع ضمائرهم ومتوافقاً مع أفكارهم ومتصالحاً مع رغباتهم، ولاتَّبعوه دون الحاجة لكل ذلك الجهد في سبيل إقناعهم به وإفهامهم إياه وحثهم أو تهديدهم على العيش وفق تعاليمه!

##  التحدي بالقرآن

أقوى دليل يملكه المسلمون اليوم لإثبات صحة دينهم هو زعمهم بأن القرآن مُعجِز. وَهُمْ يتَحَدَّون أي ناقد لدينهم ويطالبونه أن يأتي بمثل قرآنهم أو يصمت! وليسمح لي القارئ المسلم أن أقول بأن هذا التحدي مضحك فعلاً، وسأحاول فيما يلي بيان لِمَ هو كذلك!

يتحدى القرآن غير المؤمنين بالإتيان بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة واحدة، أو حتى بأي حديث مثله! وإن عجزوا عن القيام بهذا التحدي، فإن القرآن يعلن فوزه ويجعل من عجزهم دليلاً على صحة ما فيه! ولكن علينا أن نسأل: ماذا يقصد القرآن بكلمة «مِثلِه»؟ هل يقصد مماثلته في الأسلوب والصياغة؟ أم مماثلته في المعلومات والأخبار؟ أم مماثلته في التأثير والنتائج؟ أو ربما مماثلته في الإعجاز العددي[1]؟ إن المماثلة هنا مبهمة وغير محددة! فمن الذي سيحددها؟ هل هم المسلمون؟ ومن سَيُمَثِّل المسلمين؟ العلماء أو العوام؟ أم أن تفسير المماثلة متروك لمن سيقبل بالتحدي من الخصوم؟ لا أحد يدري!

ثم لو تجاوزنا تحديد المماثلة المطلوبة، فمن سيقوم بالتحكيم وإعلان المنتصر

(١) الإعجاز العددي في القرآن هو نوع من «علم الأعداد Numerology» وهو علم زائف يدّعي وجود علاقة خفية بين الأعداد والأفكار أو الأشياء. وهو موجود في ثقافات وديانات قديمة عديدة.

في التحدي؟ هل المسلمون من سيحكم؟ أم المتحدي هو من سيحكم؟ أم أن ثمة طرف ثالث لا أحد يعرفه هو من سيحكم ويقرر نتيجة التحدي؟! كل هذه أسئلة مهمة ولكن لا أحد يستطيع تحديد من سيجيب عليها!

بالطبع المسلملون لن يكونوا حكماً محايداً في هذا التحدي، فهم طرف فيه! ،حتى لو قبلنا بهم حكماً -من باب التنازل- فكيف نضمن صحة حكمهم ونحن لا نعرف ما هي «المماثلة» وليس لدينا معايير نتَّبعها لتقييمها! ولو اتفقنا على أن المماثلة تعني المماثلة في اللغة والبلاغة والأسلوب، كما يفهمها أكثر المسلمين، فكيف يمكن لِنَصَّين أدَبِيَّين أن يكونا متماثلين دون أن يكونا متطابقين؟! هل يستطيع أحد مثلاً أن يماثل المتنبي أو شكسبير فيما كتباه، دون مُحَاكَاتِهما؟ فلو حاول أحدهم مماثلة كتابات «أبو العلاء المعري» أو «الجاحظ» تماماً، فسيقول الناس إنك لم تماثله وإنما قلّدته واقتبست منه! وهذا بالضبط ما يقوله المسلمون لكل من يحاول مماثلة القرآن! يُضاف إلى لك، أن لكل نص أدبي لونه ورونقه الخاص. والحكم على النصوص الأدبية لا معايير منضبطة له، فهو يعتمد على الذائقة الأدبية والجمالية للمتلقي، وبالتالي لا يمكن الوصول فيه إلى رأي محد وقطعي لا يقبل الاختلاف!

لقد قُمْتُ بعدة تجارب لمماثلة القرآن في اللغة والأسلوب. فقدَّمتُ آيات[1] حسبها البعض من القرآن فعلاً، وذلك لأنهم لا يحفظون القرآن كاملاً. وعندما كشفتُ لهم أنها من تأليفي تراجعوا وقالوا شتان بين أسلوبك وأسلوب القرآن! كما تحداني أحدهم مرة أن آتي ولو بآية واحدة من مثل القرآن، اعتماداً على التحدي: فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ الطور. فقبِلْتُ التحدي وكتبت له ﴿ثصَ ①﴾ والتي تماثل الآية ﴿حمَ ①﴾. لكنه رفض الاعتراف بأن «ثص» تشبه «حم»!

(١) كانت آيات من سورة «ع»، وهي منشورة -مع غيرها- على حسابي في يوتيوب.

ومن جهة أخرى، فإن الشكل (الأسلوب) لا يبرهن بالضرورة على صحة المضمون. والأدلة تُطْلَب من جنس ما تحاول برهنته. فمثلاً، لو تقّدم عالم فيزياء بنظرية جديدة حول الأجرام الكونية، فإن الناس ستطالبه بإثبات فيزيائي نظري أو تجريبي لها. ولكن لو قال العالِمُ للناس: نظريتي صحيحة بدليل الحبر الخاص الذي كتبتها به، وأتحدى كل من يحاول التشكيك فيها أن يأتي بحبر مثله! فهل سيقبل أحد هكذا «دليل» من عالم الفيزياء؟ بالطبع لن يقبله أحد، وسيتهمه الناس بالجنون ربما!

وقس على ذلك كل خبر أو معلومة يتقدم بها أي إنسان في أي مجال. فإن على صاحبها إثباتها من جنسها وعدم استجداء دليلها من غير مجالها. وهاك مثال آخر: لو صاغت قناة تلفازية نشرة الأخبار شِعراً، وقدمتها للناس كقطعة أدبية راقية، وتحدَّت الناس أن يأتوا بمثل قصيدتها، وإن عجزوا فإن عجزهم سيكون دليلاً على صحة كل ما ورد في نشرة الأخبار تلك. فهل سيقبل أحد منها هذا؟ بالطبع لا! لأن لغة وأسلوب صياغة الخبر لا يمكن أن يكونا دليلاً على صحته. بل إن الناس قد يَشكُّون في صدق الأخبار، ويقولون إن القناة الإخبارية ما لجأت لهذا الأسلوب إلا لمداراة كذبها وتزييفها! وكذا الحال مع القرآن، فإن لغته وأسلوب صياغته لا يمكن أن يكونا برهاناً على صِحّة ما يحتويه من ادعاءات وأخبار ومعلومات، بل قد يكون مُثيراً للريبة والشك!

إن استخدام روعة البيان للتأثير على المتلقين وجعلهم يُصدّقون فحوى الخطاب هو أسلوب معروف في التواصل مع الجماهير. ولقد استخدمه كُهّان العرب منذ ما قبل الإسلام في محاولة إقناع الناس بأقوالهم، أو جعلهم يُصدّقون بأن لديهم قدرات خارقة أو تواصل مع قوى ماورائية! وكان العرب يسموّن كلامهم بسجع الكهان، وكانوا يهتمون به ويولونه عنايتهم! ومن أمثلة سجع الكهان قبل الإسلام قول «ربيع بن ربيعة» في وصف يوم القيامة: يوم يُجمَع فيه الأولون والآخرون، يَسعد فيه المحسنون، ويَشقى فيه المُسِيئون. وقوله أيضاً: والشفق والغسق، والفلق

إذا اتسق، إن ما أنبأتك به لحق. وقول الكاهنة «زبراء»: واللوح الخافق، والليل الغاسق، والصباح الشارق، والنجم الطارق، والمُزْن الوادق، إن شجر الوادي ليَأْدُو خَتْلاً، ويَخْرُق أنيابًا عُصْلاً، وإن صخر الطَّوْد لَيُنْذِر ثُكْلاً، لا تجدون عنه مَعْلاً. ا.هـ. وهذا السجع كما نرى يشبه أسلوب القرآن المكي في أول زمن البعثة.

ومن كل هذه الإشكالات التي تحوم حول هذا الموضوع، فإننا نخلص إلى أن تحدي القرآن بلا معنى. وأن المسلمين لن يقبلوا الاعتراف بأي نص آخر ينافس القرآن مهما كان. فالمسلمون ليسوا طرفاً محايداً هنا بالطبع، وهم متشبعون بتقديس القرآن والخوف من رب القرآن حد الثمالة!

وقبل أن نختم هذا الموضوع، فإنه تجدر الإشارة إلى أن القرآن يدعو الناس لتحديه ولكن المسلمين يمنعونهم، ويُجرمّون تحدي القرآن، ويُرهِبون كل من يحاول القيام بذلك! ولا أدري ما قيمة التحدي إن كان الناس ممنوعون من القيام به؟! لو كان المسلمون واثقون فعلاً من القرآن لأقاموا مسابقات علنية لتحدي القرآن حتى يُثبتوا عجز البشر عن الإتيان «بمثله»! ولكن ماذا عسانا أن نقول عن لوثة التقديس عندما تصيب العقول!

##  الاستدلال بالمجهول

يُقِرُّ القرآن بأن «الماضي» غيب، حيث يقول بعد سرد قصة يوسف: ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴿١٠٢﴾ يوسف. فإن كان زمن يوسف غيب بالنسبة لمحمد، ويحتاج وحياً إلهياً لتأكيده والتيّقن منه، فإن زمن محمد غيب بالنسبة لنا اليوم، ونحن نحتاج لوحي لتأكيده والتيّقن منه[1]. فكيف يستدل الإسلام علينا بغيب

(١) هذا يجعل النبوة ضرورية في كل زمان. لأن أهل كل زمان يحتاجون نبياً يؤكد لهم صحة نبوة محمد الماضية. وهذا له علاقة بما تحدثنا عنه في موضوع «الرسالة» في أول هذا الكتاب.

الماضي (زمن البعثة) من أجل الإيمان به دون إعطائنا وحي يؤكده؟ وقد يقول قائل: الوحي موجود وهو القرآن! ولكن هذا لن يكون مقبولاً، فالقرآن هو مما نريد إثباته، ولا يمكن أن يكون هو ذاته الإثبات على ذاته. فمحمد والناس في زمانه كانوا يعرفون قصة يوسف ومع ذلك سمّاها القرآن غيباً وقام بتأكيدها. ونحن نريد وحياً يعامل القرآن بذات الطريقة. نريد وحياً يسمي القرآن ونبوة محمد غيباً بحكم أنهما وقعا في الماضي، ثم يقوم هذا الوحي الجديد بسرد ما حصل في الماضي ويؤكده لنا. وذلك لكي نطمئن بأننا نتبع الدين الحق!

ولكون الوحي انقطع بموت محمد كما يزعم الإسلام، فإن هذا الدين يريد منا الإيمان بالغيب (الله والملائكة والحساب إلخ.) بدلالة الغيب (نبوة محمد)! فهل يصح أن يكون المجهول دليلاً على المجهول؟! إن هذا مخالف للمنطق ومما ترفضه العقول!

هذا النقاش يقودنا إلى الحُجَّية التاريخية، والتي يستمد الإسلام جزءاً كبيراً من شرعيته باستناده عليها. فالمسلم يأخذ من التاريخ الذي وصلنا قصة الإسلام ورجاله ومحاسنهم وإنجازاتهم. كما ويأخذ المسلم بالوقائع والتبريرات التي تجعله يفهم أحكام وتشريعات دينه، كأسباب النزول مثلاً. والتاريخ يعطي المسلم أيضاً تبريرات للأعمال السيئة التي قام بها المسلمون في الماضي كالاغتيال والقتال والرق والسبي وتهجير الناس عن ديارهم.

الإشكالية هنا أن التاريخ لا يمكن أن يرتقي بحال لمرتبة اليقين الذي لا شك فيه، فرواياته متعددة وقد تكون متضاربة. والتاريخ عُرضَة للتزوير، خاصة إذا ما ارتبط بالعاطفة الدينية أو المصالح الدنيوية وعلى رأسها المصالح السياسية. كما أنه عُرضة للنسيان والخطأ والنقص بقصد أو بغير قصد. وما مِن أحدٍ يضمن أن ما وصلنا من التاريخ هو الحقيقة أو هو كامل الحقيقة. فقد يكون هناك أحداث لم تصلنا، ولو وصلتنا لغيّرت فهمنا وحُكْمَنا على التاريخ إلى الضد تماماً!

وعليه، فجزء كبير من الإيمان بالإسلام مبني على حجية التاريخ، والذي هو مجرد قصص وروايات تحتمل الصواب والخطأ. فأي إيمان هذا؟ وأي إله يبني دينه الخاتَم على هكذا أساس هش؟

##  الحق المطلق

يدّعي الإسلام أنه الصواب والحق المطلق لأنه من عند إله مطلق العلم والحكمة. حسناً، ولكن عقول الناس نسبية! وبالتالي، فإن الناس تختلف أحكامهم تبعاً لاختلاف عقولهم وما تحتويه من ذكاء وعلم وتجربة. أي أن الإنسان قد يرفض -وهو صادق- الاعتقاد بصحة أمر ما، وذلك لأن عقله لم يوافق على صحته، وليس لأنه فاسد أو ظالم أو مستكبر كما يزعم القرآن: وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ النمل.

إن تفاوت العقول كان من الأسباب التي جعلت الناس تأخذ برأي الأغلبية مثلاً، أو تلجأ للحلول الوسط، أو الحلول المتعددة لمشكلة واحدة، وذلك بدلاً من اشتراط إجماع الكل على رأي واحد. فهكذا اجتماع يكون متعذراً في الغالب. وحتى لو اتفق جماعة من الناس أو أمة من الأمم على رأي واحد، فإن هذا يُعد استثناءً، وعادة ما يتم على المبادئ الأساسية والبسيطة أو الأفكار الجزئية، وليس على الآراء المُركَّبة أو الأفكار المعقدة مثل الدين الإسلامي.

ليس ثمة مكان للحقائق المطلقة العامة في عالم الإنسان طالما أن عقول الناس متفاوتة ونسبية. وإن من يحاول جمع جماعة أو أمة على الاتفاق على رأي واحد أو القبول بفكرة واحدة، فإنه إنما يطلب المستحيل. ولو أصر على طلب المستحيل، فإنه لن يجد أمامه سوى إرهاب الناس وإخافتهم للقبول بالرأي

الأوحد ظاهرياً فقط، وسيعجز عن إقناعهم جميعاً في دواخل أنفسهم.

ومما سبق نفهم السبب وراء استخدام الإسلام لأسلوب التهديد والوعيد، ولجوئه لاتهام رافضيه بالجهل والفسق والظلم، وتماديه حتى إلى العدوان والقتال. فهو أراد المستحيل حينما أراد من الجميع الإيمان به. وعندما فشل في بلوغ هذا المستحيل، لجأ للعنف وللتهديد والوعيد ولاتهام مخالفيه وتحميلهم مسؤولية فشله!

ولو نظرنا لاتهام الإسلام لغير المؤمنين به من زاوية أخرى، لوجدنا دليلاً آخر يكشف لنا بجلاء عدم منطقية هكذا اتهام. يقول القرآن: وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا. فهل من المعقول أن يستيقن الإنسان من صحة الإسلام، ويتأكد من تعرّضه للعذاب الرهيب الأبدي إن لم يؤمن به، ثم يرفض الإيمان به؟! إن هذا مما لا تقبله العقول السويّة. فبِحِسبة يسيرة للمكاسب والخسائر، فإن أي إنسان عاقل لن يرفض الإسلام بعدما يتأكد من صحته، لأن أي مكاسب دنيوية سيحصل عليها من رفضه لا تساوي شيئاً مع الخسائر التي سيتكبدها في الآخرة. وإن أقصى ما يمكن أن يقع من الإنسان بعدما يعرف صحة الإسلام هو ارتكاب المعاصي بعد اعتناق الدين. فالعاصي قد يتوب ويغفر الله له، وقد يعذبه لمدة ثم يدخله الجنة. أما الكافر بالإسلام الجاحد له فإن عقوبته في النار أبدية!

وفي المحصّلة، فإن محاولة الإسلام إيهام الناس بأنه الحق المطلق، وبأن العيب ليس فيه وإنما في رافضيه، ليس إلا مغالطة متهافتة أخرى يحاول من خلالها حرف الأنظار عن تقديم أدلة وإثباتات مقنعة.

##  وجود الله

يحتاج الناس من إله الإسلام «الله» لإثباتين من أجل الإيمان به:

١) إثبات ضرورة وجود خالق للكون،

٢) إثبات أن هذا الخالق هو «الله» حصراً.

ولو نظرنا إلى أدلة الإسلام في هذا المجال لوجدناها تعاني من نقص كبير. فالإسلام في نصوصه الأصلية (القرآن والحديث) لا يولي مسألة وجود الخالق عناية كبيرة. فهذه المسألة ليست أولوية عنده وذلك باعتبار أن كفار قريش والعرب قديماً كانوا يؤمنون بوجود خالق. يقول القرآن: وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴿٣٨﴾ الزمر.

اهتم الإسلام أكثر بإثبات الأمر الثاني، أي بإقناع الناس بأن الخالق المستحق للعبادة هو حصراً «الله» وليس أي إله آخر. وكما رأينا سابقاً في باب «غياب الأدلة»، فإن الإسلام لم يقدم أي دليل يبرهن على أن «الله» هو الإله الخالق فعلاً. وأن كل ما قدمه الإسلام في هذا المجال مجرد ادعاءات مصحوبة بالمغالطات والتهديد والوعيد.

إن من أبرز معضلات «الله» في الإسلام اشتماله على كم كبير من الصفات، مع اتسام جميع تلك الصفات بالكمال! فالإسلام أراد مدح إلهه ورفْعِه فوق بقية آلهة البشر، فقام بنسبة جميع الصفات الحسنة إليه، مع جعل كل تلك الصفات كاملة! وهذا التصرّف المستعجل والبعيد عن الحصافة أوقع الإسلام في معضلات كثيرة بسبب تضاد وتصادم الصفات المطلقة والكاملة مع بعضها البعض! وهذا بدوره يُسَهِّل مهمة نفي وجود «الله»، ليس باعتباره الخالق، ولكن باعتباره إله الإسلام. وذلك لأنه يستحيل وجود كائن كامل القدرة وَ مطلق الكمال معاً. ففي هذه الحالة ستُوجَد أفعال لا يستطيع هذا الإله القيام بها

كونها تتناقض مع كمال إحدى صفاته الأخرى، ومن الأمثلة على ذلك:

- عجز الله عن نقل شيء خارج مُلكِه.
- عجز الله عن خلق من هو أعظم منه.
- عجز الله عن إفناء نفسه.
- عجز الله عن تبرير معضلة الشر[١] المعروفة.

وبالعودة إلى العجز الذي تعاني منه نصوص الإسلام في التدليل على ضرورة وجود الخالق، نجد أن رجال الدين الإسلامي قاموا بمحاولة سد هذا النقص بكمية كبيرة من المؤلفات والنقاشات طوال تاريخ الإسلام. واعتمدوا كثيراً، قديماً وحديثاً، على ما لدى غيرهم في هذا المجال. فاستخدموا مثلاً طُرُق فلاسفة اليونان، وحجج الخلقيين المسيحيين[٢]. وإن لجوء المسلمين لما عند غيرهم هو في الحقيقة عامل إدانة ضدهم! فهو يفضح قصور ونقص الإسلام في هذا المجال، كما يدلل على صحة إله الفلاسفة أو صحة الثالوث المسيحي ربما، وليس على صحة إله الإسلام «الله»!

ولنتناول فيما يلي بعض أبرز الحجج التي يستخدمها المسلمون اليوم في مجال إثبات وجود الخالق عند مناقشتهم للملحدين[٣].

(١) هنا صياغة مختصرة لمعضلة الشر كما وضعها الفيلسوف إبيقور:
- إذا وُجِد إله كليّ القدرة والعلم والرحمة، فلن يوجد شر في العالَم (كالكوارث والأمراض).
- ولكن يوجد شر في هذا العالَم.
# إذاً، لا يوجد إله كامل يجمع القدرة والعلم والرحمة في الآن ذاته.

(٢) انظر لردود المسلمين اليوم على «نظرية التطور» واعتمادهم الكلي تقريباً على الخلقيين المسيحيين والمؤمنين بفكرة التصميم الذكي.

(٣) الإلحاد نوع من أنواع اللادينية، ويعني رفض الدين مع إنكار وجود خالق للكون. وعليه، فليس كل لاديني ملحد. فهناك لادينيون غير ملحدين، مثل الربوبيين الذي يرفضون الأديان مع اعترافهم بوجود موجِد للكون (كإله أو كقوة طبيعية). وهناك لاأدريون يرفضون الأديان ولكنهم لا يستطيعون الحسم في مسألة الخالق، وهناك لاإكتراثيون لا يولون مسألة الإله أي أهمية.

يستشهد المسلمون بقول الأعرابي: الأثر يدل على المسير، والبعرة تدل على البعير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا تدل على السميع البصير؟ ا.هـ. وهذا القول مبني على المعرفة السابقة. فلو أن شخصاً **لا** يعرف البعير وبعره، فإن البعرة عنده لن تدل على البعير. وهذا يعني أنه لا يمكن استخدام هذا القياس للحكم على الخالق، لأننا في هذه الحالة نفتقد للمعرفة السابقة. إذ لم يسبق لأحد منا أن رأى كوناً وخالقه، فقاس كوننا وخالقه على تلك الحالة! وبالتالي، فهذه الحجة سطحية ولن يقبلها إلا من ينظر للأمور نظرة عابرة وغير مدققة.

ولو نظرنا إلى «عِلم الكَمّ» اليوم لوجدنا ما تحار فيه العقول ويَبْطُلُ معه كل قياس ومنطق نعرفه سلفاً! إذ ليس في عالَم الكم معنى للمكان والزمان كما نعرفهما، فالشيء قد يكون في كل مكان، وقد يَسلُك الشيء فيه مسارين في ذات الوقت، وقد يحدث السبب فيه بعد حدوث المتسبب! فهل مَن يعرف عِلم الكم سيستدل مِن خلاله على الله الإسلامي كما استدل الأعرابي بالبعرة على البعير؟ لا يمكن!

الدليل الآخر الذي يستشهد به المسلمون على إثبات وجود الله كخالق هو «مبدأ السببية»، الذي يقول أن لكل سبب مسبب. وبما أننا موجودون في كون مادي حادث، فإنه من الضروري وجود مُحدِث لهذا الكون، وهذا المُحدِث لابد أن يكون الله! يعاني مبدأ السببية هذا من مشكلات معروفة عند استخدامه لغرض إثبات الله، أُجْمِلُهَا فيما يلي:

١) من المفترض أن تتتابع سلسلة الأسباب والمسببات إلى مالانهاية، فكما أن للكون مُوجِد هو الله، فإنه لابد من مُوجِد أوجد الله! ولكن المسلمين يُوقِفُون السلسلة عند الله ويقولون يستحيل أن تتجاوزه، دون تقديم حجة مقنعة تماماً لهذا الإيقاف!

٢) المؤمن يقول لا يمكن أن يُوجَد هذا الكون المعقَّد والمتقن بدون خالق. ولكن المؤمن هنا يغفل عن أن الخالِق يجب أن يكون أكثر تعقيداً وأكثر إتقاناً مما خَلَق، فالصانع أكثر تعقيداً من المصنوع. وعليه، وبذات منطق المؤمن، فإنه يستحيل أن يوجَد خالق للكون دون أن يوجَد خالق للخالق، لأن الخالق معقَّد ومُتقَن!

٣) المؤمن ينفي الأزلية عن الوجود المادي، ويقول أنه حادث. ولكنه في نفس الوقت يقول أن الله أزلي! أي أنه يهرب من الاعتراف بأزلية الوجود إلى الاعتراف بأزلية الموجِد!

٤) السببية تحتاج للتراتبية، بحيث يفصل مقدار من الوقت بين السبب والمسبب. وبعبارة أخرى، السببية تحتاج للزمن. ولكن الزمن لم يوجَد قبل الكون، فالزمن عند المؤمن حادث وليس أزلياً. وبالتالي، لا يمكن أن يعمل مبدأ السببية قبل وجود الزمن والكون، إلا إن جعلنا معايير الزمن تعمل على الإله، وهذا ما يرفضه المسلمون!

٥) السببية تحتاج لإثبات المتسبب. فإذا جعلنا الله=ع وجعلنا الكون=ک، فلا يكفي أن نقول ع هو سبب ک دون تقديم دليل على كون ع سبب ک فعلاً. وفي حال عدم تقديم الدليل الذي يربط بين ع وَ ک بعلاقة السبب والمسبب، فإن الإصرار على ارتباط ع وَ ک بهذه العلاقة لا يعدو عن كونه ادِّعاء أو مغالطة أو ربما فرضية في أحسن الأحوال.

ومن جميع ما سبق، نجد الإسلام قد فشل في إثبات وجود الخالق وفق التصور الذي بَنى عليه حتمية وجود الله. وأن الاستدلالات التي يعتمد عليها المسلمون اليوم ليست جديدة، بل يشاركهم فيها غيرهم من المؤمنين بالأديان. كما أنه قد تم الرد على تلك الاستدلالات قديماً وحديثاً أيضاً. وبالتالي، فليس لدى المسلمين ميزة في هذا المضمار تجعلهم يُصِرّون على أحقية إلههم «الله» بالعبادة وحده لا شريك له! وإن أقصى ما يقدمونه عندما يُعيِيهم الدليل هو سؤال

القرآن الاستنكاري: أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ!

##  الشعارات الزائفة

الإسلام دين شعارات دعائية (بروباغندا) بامتياز! وهو يستخدم هذه الشعارات لبث مغالطاته، ولخداع الناس من أجل جذبهم إليه وضمهم إلى صفوفه. تماماً كما يفعل السياسيون المخادعون في دعاياتهم لأحزابهم أو في حملاتهم الانتخابية!

فالإسلام يعرف انجذاب الناس إلى المثاليات والمفاهيم الراقية، مثل العدل والحرية والإحسان ومحاسن الأخلاق. فيقوم برفع شعارات هذه المفاهيم ويَدَّعي في نصوصه وفي خطاباته أنه حريص على حفظها وتطبيقها. وغرضه في ذلك ليس تطبيقها فعلاً، وإنما استغلال الناس وجعلهم يؤمنون به. ولكن إذا ما نظرنا بعين المدقق المحايد والمتجرد للحقيقة إلى هذا الدين وواقع المؤمنين به وجدنا اختلافات كثيرة وكبيرة بين الشعارات والتطبيق.

الإسلام مثلاً يرفع شعار «العدل»، حيث يقول القرآن: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴿٩٠﴾ النحل، ويقول: وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴿٥٨﴾ النساء. ويقول النبي على لسان الله: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا؛ رواه مسلم.

ولكن كما رأينا في الفصل الأول من هذا الكتاب، فإن الإسلام يعاني من عدالة ناقصة ويزخر بمظالم كثيرة! فهو يظلم البشر المتأخرين بعد زمن النبوة، ويظلم غير العرب، ويظلم في تشريعاته المواطنين غير المسلمين في الدول الإسلامية، ويظلم المرأة، كما يسمح بغزو الناس وقتلهم وأخذ أموالهم وغير هذا!

والإسلام يرفع شعار «الحرية»، حيث يقول القرآن: أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى

يَكُوْنُوْا مُؤْمِنِيْنَ ﴿٩٩﴾ يونس، ويقول: لا إِكْرَاهَ فِيْ الدِّيْنِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ ﴿٢٥٦﴾ البقرة. ويتغنى المسلمون بمقولة عمر بن الخطاب: «متى استعبدتم وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً».

ولكن إذا نظرنا للتشريعات والتطبيقات، نجد أن الإسلام يجيز الغزو والاحتلال، ويبارك تنصيب قادة جيوشه حُكّاماً على البلدان المحتلة وإقصاء سكانها الأصليين. كما نجده يؤسس الحكم الديني (الثيوقراطي)، ويُشَرْعِن الاستبداد السياسي بمنح الحاكم (ولي الأمر) سلطات تكاد مطلقة. ونجده يصادر حرية التعبير وحرية التجمّع. أما حرية الاعتقاد فيجازي عليها بالقتل (حد الردة). ويشرعن أيضاً التمييز بين المواطنين على أسس: دينية (أهل الذمة) أو جنسية (الولاية على النساء) أو عرقية (تكافؤ النسب) أو طبقية (عبيد وجواري). وغير هذا من جرائم يقترفها هذا الدين ضد الحرية!

ويرفع الإسلام شعار «الرحمة»، حيث يقول القرآن: كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴿٥٤﴾ الأنعام، ويقول عن نبيه محمد: وَمَا أَرْسَلْنَاك إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ الأنبياء.

ولكن إذا نظرنا للتشريعات والتطبيقات، وجدنا خِلاف هذه الرحمة! فعقوبات الإسلام الأخروية شنيعة وظالمة، وقد تكون حتى سرمدية! أما عقوباته الدنيوية فحدِّث ولا حرج، جز الرقاب وقطع الأيدي وبتر الأرجل وسَمْل العيون وصلب الأجساد وجلد الأبدان! ناهيك عن تشريعات الظلم ومصادرة الحريات التي تَطرّقنا لها سابقاً والتي ينعدم فيها أي معنى للرحمة. ولو نظرنا أيضاً للتاريخ وللواقع، لوجدنا المجتمعات الإسلامية كثيراً ما تعاني من القمع والفقر والأمراض النفسية والعضوية. فمتى تتجلى رحمة الله المزعومة هذه وتنقذ المستضعفين وتغيث المحتاجين؟!

ومن الشعارات الدعائية المزيفة التي يرفعها الإسلام أيضاً شعار «حقوق

المـرأة». ولقـد رأينـا[1] كيـف أنـه يظلمهـا ويقمعهـا ويزدريهـا ويُحجِّـم دورهـا!

ويرفع الإسلام شعار «العقلانية والتفكّر والتدّبر»، حيث يقول القرآن: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝٥٠﴾ الأنعام، ويقول: ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٦٤﴾ البقرة، ويقول: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝١٩١﴾ آل عمران، ويقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ۝٢٤﴾ سورة محمد.

إن أكثر شعارات الإسلام زيفاً وخداعاً هي مناداته باستخدام العقل! فهذا الدين يدعو المسلم للتفكير، ولكنه يعاقب مَن يوصله فكره إلى نتائج تخالف ما قرره الدين سلفاً! وهذا يعني أنه لا حرية حقيقية للعقل في الإسلام. فدعوة الإسلام للتفكير إذاً هي دعوة مخادِعة لأنها مؤطَّرة ضمن إطار الدين فقط. وخروج العقل خارج ذلك الإطار هو فعل مُجَرَّم، يستحق مقترفه العقوبة في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معاً!

إن الإسلام، كما رأينا سابقاً[2]، يغتال العقل ويفرض عليه الإيمان بالغيبيات والأساطير. كما شَهِد هذا الدين نزاعات وعداوات عديدة مع المفكرين والعلماء والفلاسفة. حيث كان دائماً عاملاً مُعِيقاً أمام التفكير الحر والمخترعات الحديثة. فلقد أثَّر سلباً على علوم الفلك[3]، كما عادى علوم الفيزياء والكيمياء في فترة من تاريخه. ووقف حائلاً ضد تطوّر علوم الاقتصاد والفلسفة. وهناك قائمة طويلة من المخترعات الحديثة التي حرّمها عند ظهورها ثم تراجع بعد ذلك! واليوم نراه يعادي علم التطور البيولوجي. بل إن هناك من المسلمين اليوم من يقول بمركزية الأرض ودوران الشمس حولها فقط لأن القرآن والحديث يقولان بذلك!

(١) راجع فصل «حقوق المرأة»

(٢) راجع فصل «الجناية على العقل»

(٣) ستتم مناقشة موضوع أخطاء الإسلام العلمية لاحقاً في هذا الكتاب مع إعطاء أمثلة أكثر تفصيلاً.

## الرواية والإسناد

يقوم الإيمان بالدين الإسلامي على الإيمان بنبوة محمد، والإيمان بنبوة محمد يستند على الحُجِّية التاريخية، وهذه الحجية تَستَمِّد مصداقيتها عند المسلم من الثقة في الرواة الذين نقلوا القرآن والأحاديث والسيرة. إذاً، فإسناد الروايات إلى رواة موثوقين قد يكون هو حجر الأساس في العقيدة الإسلامية -ويا له من أُسٍّ واهٍ!-

إن محاولة إيهام الناس بأن الرواية طريقة موثوقة لنقل الوحي والأحكام والتشريعات والأخبار والوقائع ليس إلا مغالطة ومحاولة للخداع! إذ لا يمكن الوثوق بكلام يتناقله الرواة شفهياً عبر العصور! ودعنا عزيزي القارئ نلقي مزيداً من الضوء على هذا الموضوع فيما يلي.

يبدأ سند جميع الروايات من الصحابة، وذلك باعتبار أنهم الذين تَلقَّوا الوحي (القرآن والسنة) من الرسول. والصحابة بالمجمل[1] عدول عند المسلمين لا يتسرب إليهم الشك مطلقاً، وذلك لأن الله اختارهم لصحبة نبيه كما يقول علماء الحديث! وعليه، فبمجرد ثبوت سند أي رواية إلى الصحابي ومنه إلى النبي، تصبح هذه الرواية (قرآن أو سنة) جزءاً من الشريعة الإسلامية يجب العمل بمقتضاها.

المشكلة التي يمكن ملاحظتها هنا هي: كيف يمكن الوثوق بهؤلاء الصحابة؟! فالقرآن نفسه يُخبرنا بوجود منافقين حول محمد لا يعرفهم، وذلك في قوله: وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ التوبة.

(١) أهل السنة يزكون أي صحابي (قابل النبي وآمن به) ويقبلون روايته، بينما الشيعة لا يقبلون الرواية إلا عن عدد محدود من الصحابة.

والمنافقون هم من يُظهِرون لمحمد إيمانهم به ولكنهم يخفون كفرهم عنه. ولقد اتهم القرآن هؤلاء المنافقين، الذي يُعتَبرون من الصحابة ظاهرياً، بتحريف الكلام في قوله: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴿٤١﴾ المائدة. وطالما أنه لا يمكننا تفريق الصحابي المؤمن من الصحابي المنافق، إذاً، فلا يمكننا الوثوق بما يرويه الصحابة عن محمد.

ولا ننسى أيضاً بأن الله -كما يزعم القرآن- كان قد حكم على القرشيين الذين قاوموا محمد بالكفر الأبدي وبعدم الهداية مطلقاً، حيث قال: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ البقرة. وهؤلاء قد أظهروا إسلامهم بعد فتح مكة، وسماهم المسلمون «الطلقاء». وهم قد أصبحوا عند المسلمين من الصحابة ورووا عن الرسول! وبالتالي، فلا يمكن الوثوق بالآيات والأحاديث التي نقلها هؤلاء[١] أيضاً.

المشكلة الأخرى في الصحابة هي أنهم لم يكونوا جميعاً على ذات الدرجة من التمكن والإتقان. فكان منهم: الكبير والصغير، والعالم والجاهل، والحافظ والنسيّ، والمصيب والمخطئ، ومن لازم محمد طوال حياته ومن قابله ساعة من نهار فقط، ونحو هذا. وعليه، فلا يصح وضعهم جميعاً في ذات المنزلة وقبول كل ما يقولونه!

يقودنا تفاوت الصحابة إلى الحديث عن «علم الرجال» أو «علم الجرح والتعديل». وهذا علم زائف يفتخر به المسلمون كثيراً، ويَدَّعون قدرتهم من خلاله على تمييز الرواة الصادقين من الكاذبين! وهذا كلام غريب فعلاً! إذ كيف

(١) معاوية بن أبي سفيان هو أحد الطلقاء وأحد كتبة القرآن!

يمكن لعالِم الحديث أن يقوم بتزكية أو جرح أشخاص ماتوا قبله بعشرات ومئات السنين! فإن كان الإنسان لا يعرف صدق أو كذب أقرب الناس إليه وهو يتحدث معه وجهاً لوجه، فكيف يعرف صدق أو كذب شخص لم يقابله أبداً ولم يعش في بلده ويفصله عنه مئات السنين؟! كيف يحكم على نيّته وينزهه من الخطأ والنسيان والمصلحة وسوء القصد والنفاق ونحوها؟! إن المنطق والتجربة يقولان أن تزكية أو جرح الأشخاص بهذه الطريقة لا يمكن الوثوق بها مطلقاً.

يُصِرّ علماء[1] الحديث على تمسكهم بمعاييرهم الباطلة في الجرح والتعديل. ولقد وقعوا في سوء أعمالهم نتيجة لذلك! فقد أدى بهم الإصرار على تلك المعايير إلى الاختلاف في كل شيء وعلى كل شيء تقريباً! فقد اختلفوا في تعريف الراوي، وفي طريقة تحديد عدالة الراوي. كما اختلفوا على الرواة أنفسهم، فهذا الراوي قوي عند فلان من العلماء، ولكنه ضعيف عند عالِم آخر! ومن عجائب تخبطهم هذا أنهم يجرحون في عدالة «حفص بن عاصم» ولا يقبلون الأحاديث النبوية التي يرويها، بينما يقبلون منه رواية القرآن! وبالطبع يلجؤون لكافة الأعذار والتبريرات عند مواجهتهم بهذه الفضيحة!

هذا وإن علينا هنا ألا نغفل عن أهمية مبدأ «موثوقية» العلماء والمصادر العلمية في كافة فروع العلم المعتبرة اليوم. وألا نخلط بين الطريقة التي يكتسب بها العلماء والمصادر موثوقيتهم في العلوم الحقيقية، والطريقة التي يستخدمها المسلمون لتوثيق رواتهم ومصادرهم! فالعلماء يكتسبون الثقة في فروع العلم المختلفة نظير ما يقدّمونه من علوم مكتوبة يمكن تجربتها وتوثيقها من أطراف خارجية. ولو حاول عالم ما التلبيس أو التلاعب، فإن البيئة العلمية بما فيها من علماء ومراكز بحثية وإعلام ستكتشف فعلته تلك، وستسقط مكانته في المجتمع

---

(١) لا يصح إطلاق لقب «علماء» على المنشغلين بالعلوم الزائفة، كعلم الحديث. ولكن أرجو أن يسمح لي القارئ هنا بذلك من أجل توضيح العبارة وتقريب المعنى.

العلمـي، وسـيجد صعوبة مسـتقبلاً فـي النشـر أو حتـى فـي تأميـن عمـل لـه!

أمـا الـراوي فـلا يمكـن معاملتـه بالمثـل. فأكثـر مـا كان يقولـه الـرواة مجـرد كلام شـفهي، وبالتالـي يمكنهـم تغييـره أو إنـكاره إذا مـا أرادوا[١]. كمـا لا يمكـن تجربـة كلام الـرواة عمليـاً والتحقـق مـن صحتـه عبـر طـرف ثالـث! وبالتالـي، فـإن عمليـة تزكيـة أو جـرح الـراوي لا تقـوم علـى أسـاس تجريبـي موثـوق مثـل عمليـة تزكيـة أو جـرح العالِـم فـي مجـالات العلـوم الحقيقيـة، بـل هـي تقـوم علـى مجـرد ظنـون أو ولاءات دينيـة أو مذهبيـة[٢].

يَظهـر لنـا مـن جمـع مـا سـبق أن الاعتمـاد علـى الروايـة والإسـناد ليـس إلا مغالطـة يلجـأ لهـا رجـال الديـن المسـلمين لخـداع النـاس ومحاولـة إقناعهـم أن الديـن قـد وصلنـا كامـلاً صحيحـاً كمـا «أنزلـه اللـه علـى نبيـه»! بينمـا الحقيقـة هـي أن الروايـة والإسـناد أسـاليب بدائيـة تخلـو مـن أي معاييـر علميـة يمكـن الوثـوق بهـا.

* * *

(١) الصحابي أبي هريرة مثلاً قام بإنكار أحاديث كان يرويها عند مجابهته بها، مثل حديث: لا عدوى ولا طيرة!

(٢) علماء الحديث لا يقبلون رواية الكافر والزنديق!

# عيوب القرآن

يتغنى المسلمون بفصاحة القرآن وبإعجازه الذي تحدى الله به البشر. كما يصفون هذا الكتاب بأنه أصح الكتب على الأرض، وبأنه محفوظ لا يمكن أن يطاله التحريف أو التزييف. وغير هذا من المديح والتبجيل لهذا الكتاب العتيق. ولكن ماذا لو نظر الإنسان لهذا الكتاب بحيادية وهو متجرد للحقيقة ومتنَزِّه عن التقديس؟ هل سيرى ما يراه المسلمون في كتابهم؟ الجواب هو: بالطبع لا! وسأحاول بيان ذلك في هذا الفصل.

##  التناقض

يعاني القرآن من التناقض بين آياته مما يجعله كتاب عائم وغير محدد المعالِم في الكثير من موضوعاته وأفكاره. إذ يمكن استخدام القرآن في أحيانٍ كثيرة للتدليل على الشيء ونقيضه في آن واحد![١]

إن تناقُض الآيات موضوع كبير، وهو من أكثر عيوب القرآن التي تدلّ على نقصه، وبالتالي على بشريته. ولقد حاول القرآن نفسه تدارك هذا الخلل الكبير فيه وجاء بفكرة «النسخ» التي تعني إلغاء أحكامه السابقة وتشريع أحكام بديلة عنها. ولقد اعتمد المسلمون[٢] مبدأ النسخ[٣] هذا لتدارك بعض تناقضات القرآن.

(١) أذكر هنا ما قاله د. حسن حنفي حين وصف القرآن بأنه «مثل السوبرماركت، يمكن للإنسان أن ينتقي منه ما يشاء!» (بتصرّف).

(٢) القرآنيون يقولون لا يوجد نسخ بمعنى الإلغاء في القرآن. ولكن كلامهم هذا مردود عليهم كما سيتضح لاحقاً.

(٣) ومن طوائف المسلمين كالشيعة من يؤمن بـ «البداء» أيضاً.

يشرعن القرآن النسخ بقوله: مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴿١٠٦﴾ البقرة. ولكنه يتناقض حتى في تشريعه هذا! فهو يدّعي على سبيل المثال أن الله لا «يُبدِّل» كلامه: مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ق[1].

يحاول القرآن التهرّب من التناقض في تشريع النسخ ويقول: وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ النحل؛ فهو لا يكتفي بالتناقض، بل يتهم بالجهل من يعيب عليه هذا التناقض!

ومن أمثلة النسخ في القرآن قوله: وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴿٢٤٠﴾ البقرة. وهذه الآية تجعل عِدّة المرأة المتوفى زوجها تستمر لمدة سنة كاملة! وعندما وجد الله أن هذه المدة طويلة جداً على النساء، تراجع وجعلها أربعة أشهر وعشرة أيام فقط! حيث نسخ الحكم السابق وجاء بحكم جديد في قوله: وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴿٢٣٤﴾ البقرة.

ومن الأمثلة أيضاً قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴿١٢﴾ المجادلة. وعندما ابتعد الناس عن محمد ولم يعد أحد يسأله بسبب فرض هذا الرسم المالي على السؤال، عاد القرآن ونسخ الحكم بقوله: أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴿١٣﴾ المجادلة!

ولعل الآية التي يسميها الفقهاء والمفسرون بـ «آية السيف» أخطر أحكام النسخ على الإطلاق! ونص هذه الآية الإجرامية هو: فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ

(١) يقول أهل السنة أن النسخ يتعلق بالأحكام الشرعية فقط، أما الغيب والحقائق الكونية فليس فيها نسخ (وهذا أحد اختلافات النسخ عن البداء). وبالتالي فإن الآية ٢٩ من سورة ق لا تتناقض مع النسخ لأنها تتحدث عن الغيب وما سيحدث يوم القيامة. ولكن تبرير المسلمين هنا غير مقبول لسبب بسيط وهو أن الآية تقول إن «قول» الله لا يتبدّل، هكذا على الإطلاق. وبما أن الأحكام والغيبيات لا فرق بينها في القرآن، فهي جميعها مجرد «أقوال»، فإنه يجب ألا تتبدل بحسب نص هذه الآية.

فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٥ التوبة. ولقد نسخ المفسرون والفقهاء بهذه الآية كل آيات الصفح والعفو والتسامح والسلام الواردة في القرآن. قال ابن كثير[1]: وهذه الآية الكريمة هي آية السيف التي قال فيها الضحاك بن مزاحم إنها نسخت كل عهد بين النبي وبين أحد من المشركين، وكل عهد وكل مدة. ا.هـ.

يقول موقع «صوت الحكمة» التابع لمنظمة التعاون الإسلامي[2] أن الفقهاء نسخوا بآية السيف ما عدده ١٢٤ آية في ٥٢ سورة من القرآن، من أمثلتها: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۝٢٥٦ البقرة. وأيضاً: وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۝٦١ الأنفال.

وهناك أمثلة أخرى كثيرة على النسخ، منها: التراجع عن تحريم جماع الرجل لزوجته في ليل رمضان، والتخفيف عن المقاتلين بعدما علم أن فيهم ضعفاً فجعل المئة منهم يغلبون مئتين بعدما كان المئة منهم يغلبون ألفاً، وغير ذلك.

ولنا أن نسأل هنا: كيف لإله، يدَّعي أنه يعلم غيب المستقبل وأن القول لا يُبدَّل لديه، أن يتراجع عن أقواله وأحكامه بحسب تغيُّر الظروف؟ أيعجز هذا الإله عن الإتيان بأحكام ثابتة لمدة ٢٣ سنة (مدة النبوّة) ويضطر لتغييرها مرات عديدة خلال هذه الفترة القصيرة، ثم يريدنا أن نؤمن بأن أحكامه بعد ذلك صالحة لآلاف وربما ملايين السنين؟! إن هذا غير معقول بالطبع ولن يوافق عليه من لديه مُزْعَة من عقل!

والتناقض في القرآن لا يقف عند حد آيات الناسخ والمنسوخ التي عالجها

(١) المصدر: تفسير ابن كثير.

(٢) هذا الرابط. وبالطبع، يحاول الموقع المذكور تبرئة القرآن من العنف ووضع اللوم على الفقهاء، كعادة المسلمين عندما يريدون التنصّل من أحكام دينهم الأصلية والإتيان بأحكام جديدة تتوافق مع المعايير الحضارية الحديثة!

المسلمون وحاولوا تبريرها، بل يتعداها إلى ما هو أبعد منها. إنه كتاب مليء بالآيات المتناقضة، ولو أضفنا إلى ذلك تناقضه مع السنة والسيرة، فإن الأمر يزداد سوءاً. إن وجود ولو تناقض واحد في القرآن يكفي لإبطاله، فمن المفتَرَض أنه من عند الإله الكامل الذي يستحيل منه الخطأ والارتباك! فكيف به وهو مليء بالتناقضات والأحكام الارتجالية والتراجعات والاعتذارات؟

وفيما يلي بعض آيات القرآن المتناقضة مع تعليقات مختصرة عليها:

| | | |
|---|---|---|
| ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ | ⇄ | ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾<br>﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ |

كيف يكون للإنسان "أهل" يوم القيامة وقد انتهت علاقة النسب بين الناس بعد نفخ الصور؟ ثم هل الناس يوم القيامة يتساءلون أو لا يتساءلون؟!

---

| | | |
|---|---|---|
| ﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾<br>﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾<br>﴿اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ | ⇄ | ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾<br>﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ |

يقول أن الرسول لا يسأل الناس أجراً، ثم يعطيه خُمْس الغنائم! وأيضاً يخوِّف الناس لكي ينفقوا، ثم يجعل الرسول هو المسؤول عن استلام تلك النفقات!

---

| | | |
|---|---|---|
| ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ | ⇄ | ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ |

ذكر الله يُطمئن القلوب في الآية اليمنى، ولكنه يتسبب في وجلها وخوفها في الآية اليسرى!

(يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ⇄ (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

كيف يتكلم الناس (تشهد عليهم ألسنتهم) يوم القيامة وقد ختم الله المزعوم على أفواههم؟

---

(كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ) ⇄ (أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ)

لم نفهم! هل الكفار محجوبون عن ربهم ولا يُعرَضون عليه أم يُعرَضون عليه؟

---

(وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ⇄ (كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ)

لا ندري من يزين للناس أعمالهم السيئة بحسب الآيتين: الله أم الشيطان؟!

---

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) ⇄ (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا) (وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ)

تريدون الخير والبركة؟ حسناً، آمنوا بالله. آمنتم ومستكم الضراء وأصابكم الجوع والفقر؟ هذا ابتلاء من عند الله لأنكم آمنتم به وهو يريد اختباركم! واضح أن القرآن يعطي الناس مجرد كلام بحسب الحالة، فليس هناك شيء ثابت يمكن الاعتماد عليه!

(قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) ⇄ (وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا)

الله لا يأمر بالفحشاء، جميل! ولكنه في الآية اليسرى يأمر الناس بالفسق لكي يهلكهم بسبب ما أمرهم بالقيام به!

---

(سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) ⇄ (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ)

في الآية الأولى تكذيب لمن يقول أن الشرك يقع بمشيئة الله. وفي الآية الأخرى يعترف الله بأن الشرك يقع بمشيئته!

---

(وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا) ⇄ (اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا)
(قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ)

كيف يقرأ الكفار كتبهم وقد حشرهم الله عمياً؟ وكيف يقولون لربهم وقد حشرهم بُكماً؟ وكيف يسمعون كلامه وقد حشرهم صُمَّاً؟ طبعاً التبرير جاهز عند المسلم، ولكن لماذا يتسبب الله "الحكيم" بهذه الإشكالية في كتابه الخاتم؟ عبث!

---

(وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ) ⇄ (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ)

لا يوجد من يستطيع إضلال من يهده الله بحسب الآية الأولى. ولكن بحسب الآية الأخرى، فإن ثمودكانوا أقوى من الله واستطاعوا إضلال أنفسهم بعد أن هداهم!

| | | |
|---|---|---|
| (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) | ⇄ | (وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ) |

هل الله ينسى أم لا ينسى؟!

---

| | | |
|---|---|---|
| (خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا) | ⇄ | (خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ)<br>(خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ) |

هل سيخلدون في النار: أبداً (إلى ما لا نهاية)، أو إلى ما شاء الله، أو إلى مدة تساوي عمر السماوات والأرض؟ مجرد كلام مرسل كيفما اتفق!

---

| | | |
|---|---|---|
| (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا)<br>(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) | ⇄ | (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا)<br>(وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا) |

هل الإسلام للناس جميعاً، أم هو للعرب فقط؟!

المسلمون بالطبع يرفضون الاعتراف بأي تناقض في القرآن، ويسوقون التبريرات والتعليلات متحججين بالسياق وبضرورة الجمع بين الآيات وغير هذا. وهم مدفوعون في هذا بتقديس عميق لهذا الكتاب، وخوف من إلهه الموهوم الذي ينتظرهم بعد الموت لتعذيبهم فيما لو أعملوا عقولهم وتجردوا للحقيقة واعترفوا بتناقض كتابه!

وأخيراً، فلنتذكر قول القرآن: أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ النساء! ولقد استجبتُ أنا لدعوة القرآن وتدبَّرتُه، فوجدت فيه اختلافاً كثيراً. ولذا سأحكم عليه بقلب مطمئن بأنه من عند غير الله حتماً وقطعاً. فلماذا يتوّعد إله القرآن من يستجيب له ويتدبّر القرآن ويكفر به بالعذاب؟! ولماذا يُعادِي المسلمون من يَعمَل بأمر القرآن هذا؟!

## التحريف

قد يعجب البعض من كون التحريف هو أحد عيوب القرآن في حين أن المسلمين يفتخرون كثيراً بكون كتابهم محفوظ غاية الحفظ! والحقيقة هي أن المسلمين ينطلقون في فخرهم هذا من مجرد شعار ودعاية دينية روّج لها الفقهاء والدعاة والساسة في الجماعات الدينية. والدعاية هذه تقوم على الآية: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ الحجر. ولكن الباحث في مخطوطات القرآن القديمة يجد عدداً من الاختلافات بينها وبين نُسَخ القرآن الموجودة اليوم.

وقبل استعراض عدد من الاختلافات بين نُسَخ القرآن، تجدر الإشارة إلى أنه لا توجد حُجَّة في حفظ القرآن أصلاً! فما علاقة حفظ أي كتاب بصحة ما فيه؟! فالأصل في جميع الكتب هو حفظها. ولو اشترى أي إنسان اليوم نسخة من كتابٍ ما من السعودية وأخرى من البرازيل، ووجد النسختين متطابقتان، فهل هذا دليل على صحة محتويات الكتاب؟ بالطبع لا! ولا فرق في هذا بين الكتب القديمة والحديثة، فالحفظ من التحريف ليس دليلاً على شيء.

أمر آخر تجدر الإشارة إليه هو مقدار التحريف الذي يمكن اعتباره قادحاً في صحة أي كتاب. وهذا المقدار يجب أن يكون كبيراً بحيث يغير أسلوب الكتاب أو المعلومات الواردة فيه. فلو وجدنا كتابين بعنوان واحد منسوبَين لمؤلف واحد ولكن معلوماتهما متناقضة أو لغتهما الأدبية مختلفة، فعندها يمكننا القول أن أحد هذين الكتابين هو الكتاب الأصلي والآخر منحول (وقد يكون كلاهما منحولاً). وهذا الأمر في الحقيقة كان سيصُبُّ في صالح القرآن، وذلك لأن أغلب الاختلافات التي نجدها في نُسَخ القرآن لا تغير من أسلوبه أو معانيه كثيراً. ولكن المشكلة أن المسلمين يقولون أن القرآن محفوظ تماماً ولم يتغير منه حتى حرف واحد منذ نزل على محمد إلى اليوم! وادعاءهم هذا في الحقيقة يُسهِّل علينا إثبات تحريف القرآن وفق تعريفهم؛ فمن فمك أدينك!

وقبل المقارنة بين النسخ القديمة والحديثة من القرآن، دعونا نبدأ باستعراض الاختلافات بين أشهر روايات القرآن المعتمدة عند المسلمين اليوم (القراءات)، فهي ليست متفقة على نص القرآن! ولنأخذ بعض الاختلافات[1] بين رواية «حفص عن عاصم» المتداولة في السعودية ومصر ورواية «ورش عن نافع» المتداولة في المغرب:

| الآية | رواية حفص | رواية ورش |
|---|---|---|
| ١٨ الزخرف | وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا | وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِندَ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا |
| ٢٤ الحديد | فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ | فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ |
| ٢٥٩ البقرة | وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا | وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا |
| ١٥ الشمس | وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا | فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا |
| ٣٦ الكهف | لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا | لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهُمَا مُنقَلَبًا |

وهنا أمثلة على الاختلافات[2] بين رواية حفص ورواية «قالون عن نافع» المتداولة في ليبيا وتونس (لاحظ اختلاف ترقيم بعض الآيات!):

| السورة | رواية حفص | رواية قالون |
|---|---|---|
| الزخرف | قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم ﴿٢٤﴾ | قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ ﴿٢٣﴾ |
| آل عمران | وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴿١٤٦﴾ | وَكَأَيِّنْ مِن نَبِئٍ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴿١٤٦﴾ |
| البقرة | وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ | وَلَا تَسْئَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٨﴾ |

(١) المصدر ولمزيد من الأمثلة: http://ar.hanif.de/?p=15

(٢) المصدر ولمزيد من الأمثلة: https://bit.ly/2JhLzC1

| السورة | رواية حفص | رواية قالون |
|---|---|---|
| الحديد | فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ | فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٣﴾ |
| مريم | قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا ﴿١٩﴾ | قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِيَهَبَ لَكِ غُلَامًا ﴿١٩﴾ |

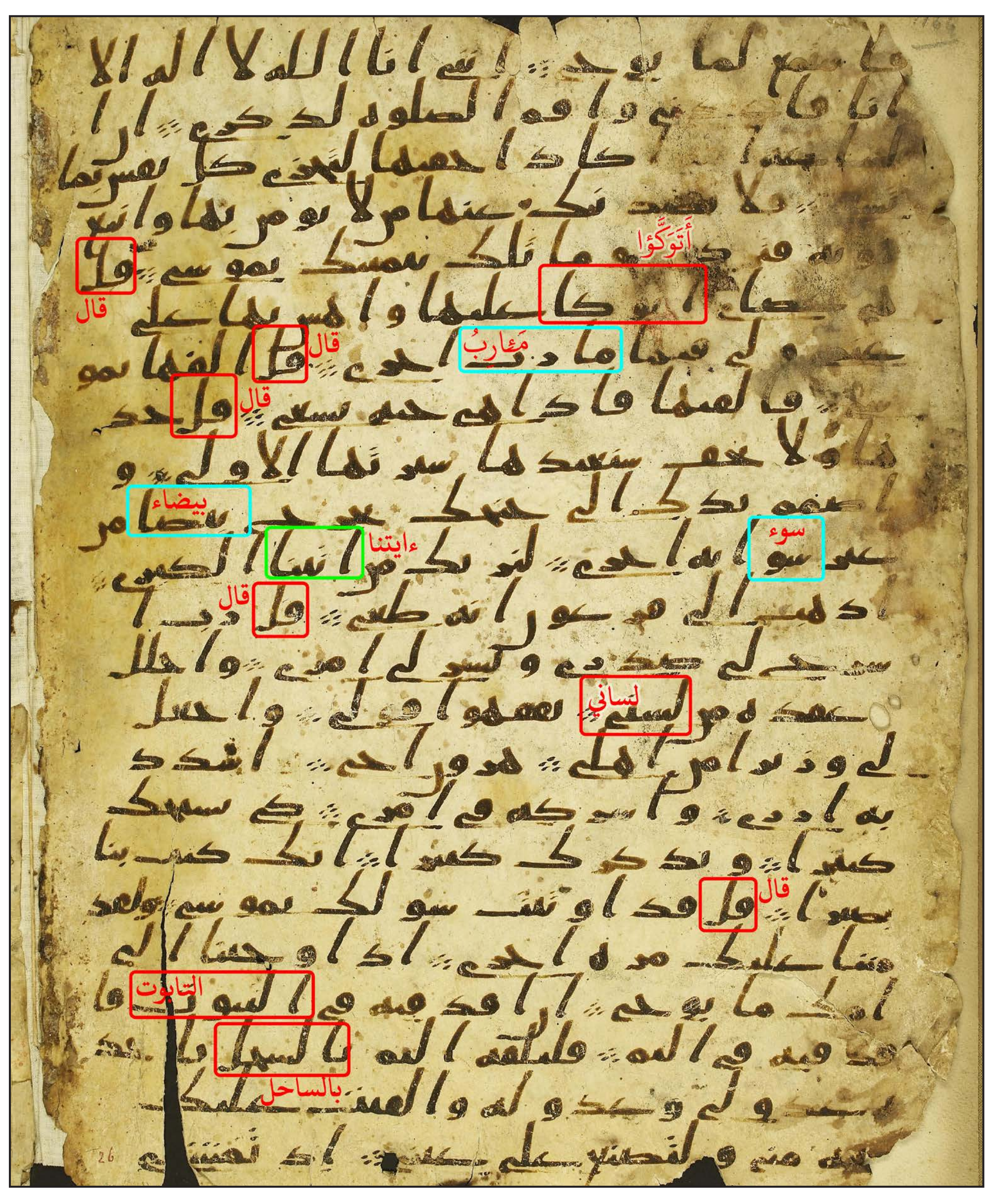
فأين حفظ القرآن الذي يدَّعيه المسلمون هنا؟! قد يحاول المسلمون تبرير هذه الاختلافات وغيرها بأسطورة نزول القرآن على سبعة أو عشرة أحرف (قراءات). وهذا في الحقيقة ليس إلا تبرير ديني يقبله المؤمنون حتى يطمئنوا به أنفسهم! فمثلاً، هل أنزل الله (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا) بلسان قريش، ثم أنزلها (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِندَ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا) بلسان قبيلة أخرى كما يزعم أهل القراءات؟! إن هذا أمر غير مقنع ولا يمكن قبوله.

وقبل التحوّل عن مسألة اختلاف القراءات فإنه يجب التنبيه على أسطورة حفظ القرآن في الصدور! فكما هو معلوم، ثمة اختلافات في طريقة نطق كلمات كثيرة جداً في القرآن[1]. وإن جميع المنشغلين بقراءات القرآن يقولون مثلاً «قَرَأَ» حفص كذا كذا و «قَرَأَ» نافع كذا وكذا بطريقة مختلفة. وهذا الاختلاف في **القراءة** يدل على أن نص القرآن كان مكتوباً **وقرأه** كل واحد منهم بطريقته. وهذا الاختلاف سببه عدم تنقيط وتشكيل النص الأصلي للقرآن. فلو كان الجميع يحفظ القرآن عن ظهر قلب فعلاً لما كان هناك اختلاف في قراءة النص، ولقرأه الجميع كما يحفظونه وليس كما يرونَه مكتوباً أمامهم. وهذا يدلل على أن القرآن إنما انتشر في البلدان على شكل نص مكتوب وليس محفوظ. ولذا اختلف أهل البلدان في قراءته.

لننتقل الآن إلى الاختلافات في نُسَخ القرآن القديمة التي وصلتنا (وهي

(١) أنظر مثلاً: المصحف المنسوب إلى عثمان بن عفان - نسخة طوب قابي، صفحة ٨٤ وما بعدها.

بالمناسبة ليست نسخ «كاملة» من القرآن). لقد قمتُ بدراسة مخطوطة برمنجهام[1] ووجدتُ فيها اختلافات كثيرة عن القرآن الموجود بين أيدينا، خاصة فيما يتعلق بزيادات الألف والهمز. وفيما يلي صفحة من هذه المخطوطة من سورة «طه» الآيات ١٤ إلى ٣٩، حيث تجد الكلمات المختلفة بين القرآن الحديث والمخطوطة القديمة للمقارنة:




(١) ورقتان مخطوطة عُثِر عليهما في جامعة برمنجهام، يعدُّهما البعض من أقدم نسخ القرآن؛ انظر هنا

والفروقات موجودة في بقية مخطوطات القرآن القديمة أيضاً، مثل: مخطوطات صنعاء[١] ومصاحف سمرقند[٢] وطوپ قاپي[٣] والمشهد الحسيني. وهذا دليل قوي (لأنه دليل أركيولوجي ملموس وليس فقط روايات تاريخية) على عدم حفظ القرآن بالطريقة التي يدَّعيها المسلمون.

وبعد كل هذه الاختلافات بين روايات القرآن ونُسَخ القرآن القديمة والحديثة، فإنه لا يمكن القول بأن القرآن محفوظ. وهذا يخالف تعهد الله بحفظ القرآن، وبالتالي يدل على عجزه وأنه ليس بإله فعلاً.

##  نقص البلاغة

بينما يقول القرآن أنه بلسان عربي مبين، ويتغنى المسلمون بمدى فصاحته وبلاغته، نجد أن القرآن في الحقيقة كتاب ملتبس ومبهم وغامض، عسير الفهم وصعب القراءة على كثيرين!

اشْتُقَّت «البلاغة» من الفعل «بَلَغَ» والذي يدل على التبليغ وَ البلوغ. وعليه، فهي تعني استخدام أقل عدد ممكن من الألفاظ لإيصال المعنى الذي يريده المُتَكلِّم كاملاً إلى المتلقي (تبليغ المعنى) مع التأثير فيه (بلوغ الهدف). إذاً، فالبلاغة تحمل غاية عقلية هي الإفهام وإيصال المعنى. كما تحمل غاية عاطفية هي التأثير النفسي في المتلقي من أجل إقناعه أو استثارته. وإذا ما فقد الكلام

(١) مخطوطات صنعاء تحتوي على فروقات في النص الأصلي، كما تحتوي على نص سفلي ممسوح يُظهر تعديلات على الصياغة؛ راجع هنا.

(٢) راجع هذا الرابط لرؤية بعض الاختلافات في مخطوطة سمرقند:
https://www.answering-islam.org/PQ/ch9a-index.html

(٣) المصحف الشريف المنسوب إلى عثمان بن عفان - نسخة طوب قابي سرايي، الصفحة ٨٢ فقرة ب فيما يتعلق بمصحف سمرقند، والصفحة ٨٦ فيما يتعلق بمصحف طوب قابي.

هذين المُقوّمين أو أحدهما (المعنى أو التأثير) فإنه لا يُعدّ بليغاً.

لو نظرنا إلى القرآن وفق تعريف البلاغة أعلاه لوجدناه ناقص البلاغة. فهو يعجز كثيراً عن إيصال المعنى كاملاً وواضحاً إلى المتلقي. ولذا نجد المسلمين قديماً وحديثاً بحاجة لأرتال من التفاسير ولأقوال الرواة والعلماء التي تحمل الكثير من الاختلافات والتناقضات!

في القرآن كلمات كثيرة غير عربية أو غير مفهومة، والمفسرون فقط يضعون لها معاني تخمينية تناسب السياق الذي يريدونه أو يفهمونه. فإن كان السياق سياق مدح مثلاً جعلوا تلك الكلمات تعني المدح، وإن كانت في سياق العذاب جعلوها تعني العذاب، وهكذا! وحديثاً ظهر عدد من التفسيرات الجديدة للقرآن التي تقول باحتوائه على عدد كبير من الكلمات والتعابير السريانية الآرامية. وأشهر هذه التفسيرات كتاب «قراءة آرامية سريانية للقرآن» لكاتب ألماني يكتب باسم مستعار هو «كريستوفر لكسنبرغ». ولقد أحدث هذا الكتاب ضجة كبيرة في أوساط المهتمين بالقرآن ولغته وتاريخه.

من أمثلة الكلمات المبهمة أو غير العربية في القرآن: «أبّاً»، «كنود»، «طود»، «الصاخة»، «المؤتفكة»، «الزقوم»، «حور»، «غسلين»، «قُروء»، «أرائك»، «المسجور» وغيرها الكثير[1]. ولقد أدى تعامل المفسرين قديماً مع القرآن إلى إدخال هذه كلمات وغيرها إلى اللغة العربية، كما أدى تعاملهم معها إلى إكساب بعض الكلمات العربية لمعاني جديدة حتى تتوافق مع ما في القرآن، ففقدت تلك الكلمات معانيها المحددة وأصبحت تدل على أكثر من معنى! ونظراً لأن قواميس اللغة العربية تم وضعها بعد نزول القرآن وكتابة تفسيراته، فلقد دخلت الكلمات والمعاني الجديدة إلى تلك القواميس وأصبحت مرجعاً يستشهد به العرب!

(١) ثمة مراجع كثيرة تعتني بغريب ألفاظ القرآن. وهنا صفحة مختصرة تجمع عدداً من هذه الألفاظ: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=332332

ولو جئنا إلى الآيات المبهمة والملتبسة في القرآن فإننا سنجد العجائب! وأبرز ما يلفت نظرنا في هذا المجال هو استخدام القرآن للسجع المتكلّف على طريقة كهنة العرب القدماء، خاصة في القرآن المكي. فكاتب القرآن اهتم بجانب التأثير في البلاغة على حساب المعنى. لقد أراد التأثير في الناس وكسْب الأتباع من خلال السجع والعناية بالجرس الصوتي للكلام، حتى وإن قال كلاماً مبهماً وغير مفهوم! وقد يكون هذا أحد الأسباب التي أدت لعدم نجاحه في مكة. لأن الناس رأوا فيه حينها مجرد كاهن يردد أساطير الأولين، وأنه يريد حملهم على تصديقه واتّباعه فقط باستخدام الحِيَل الكلامية والصوتية[1]!

من أمثلة الآيات المسجوعة على طريقة الكهان والتي لا تحمل معنى واضحاً أو مفيداً قوله: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إلخ. سورة العاديات.

وأيضاً قوله: وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ إلخ. سور النازعات.

ومن الآيات التي احتار الناس في فهمها واختلفوا: وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ البقرة.

كما احتار المفسرون في علاقة الأيتام بتعدد الزوجات في هذه الآية: وَإِنْ

(١) رُوِي عن محمد قوله: إن من البيان لسحراً!

خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ النساء.

وبالطبع الأمثلة كثيرة جداً، والتفاسير وغيرها من الكُتب المهتمة بالقرآن تطفح بالحيرة والاختلافات والترجيحات والظنون!

ومن أسباب عدم فهم القرآن أيضاً سوء صياغة الكثير من آياته (عيوب إنشائية). فهو يقدِّم ويؤخر كثيراً، فيجعل الخبر قبل المبتدأ أو يجعل الفاعل بعد المفعول به مثلاً. كما يحتوي على الكثير من الحذف والتقدير للكلمات والمعاني. والقرآن أيضاً يعاني اضطراباً في استخدام الأزمنة، وقد يخلط بين عدة أزمنة في آية واحدة، فيروي حادثة مستقبلية مثلاً ويخلط بين الأفعال المضارعة والماضية مثلاً! هذا ناهيك عن اضطرابه في استخدام الضمائر، فنجده مثلاً يتكلم بصيغة المتكلم ثم ينتقل فجأة إلى الإخبار بصيغة الغائب.[١]

والقرآن لم يكتفِ باستخدام لغة غير بليغة، غامضة وملتبسة، بل قام بتمزيق المواضيع وتشتيت السرد وتقطيع السياقات! فهو ينتقل بين المواضيع ويخلط بين القصص ويُداخِل بين الأحكام. يبدأ موضوعاً وقبل أن يُتمّه يقفز إلى غيره دونما سبب! ثم إنه قد لا يعود للموضوع الأول أبداً وقد يعود إليه بعد عدة آيات وأحياناً في سور أخرى! وهذا الأسلوب العشوائي في تناول المواضيع والخلط بينها يعمل على تشتيت ذهن قارئ القرآن ويقطع حبل أفكاره، مما يُسهِم في عدم فهمه للقرآن. وبالتالي يلجأ القارئ لكتب التفسير الأكثر انضباطاً في محاولة فهم ما يريد أن يقوله القرآن!

ولنا أن نتساءل هنا: هل القرآن للمختصين فقط أم هو للإنس والجن عامتهم

(١) راجع مقدمة كتاب «القرآن الكريم بالتسلسل التاريخي» تأليف د. سامي الذيب للمزيد عن المشاكل الإنشائية واللغوية في القرآن.

وخاصتهم؟ القرآن متناقض في هذه المسألة! فتارة يقول إنه سهل وميسر للجميع، كما في الآية: وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ القمر. وتارة يقول إنه متاح فقط للعلماء خاصّة الذي يستطيعون فهمه كما ينبغي، مثلما في الآية: لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴿٨٣﴾ النساء. كما يوصي القرآن عامة الناس بالرجوع لهؤلاء العلماء وسؤالهم: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ النحل!

فإن كان القرآن للعلماء المختصين فقط، فلماذا يحاسب الله عامة الناس إن هم رفضوا الإيمان بالقرآن لأنهم لم يفهموه؟ وإن كان القرآن للناس عامة، فلماذا يجعل الله وسطاء (العلماء) بين كتابه وبين الناس؟!

يشير الواقع العملي للقرآن إلى حاجة الناس للإيمان بكتب التفسير وأقوال العلماء، بالإضافة إلى إيمانهم بالقرآن. إذ لا يمكن للناس فهم القرآن دون الاعتماد على هذه الكتب والأقوال. والإشكالية أننا لا ندري بأي من كتب التفسير وأقوال العلماء يريدنا الله هذا أن نؤمن! هل يريدنا الإيمان بما عند السنة أم الصوفية أم الشيعة أم القرآنيين أم مَن؟!

ومع كل ما يعانيه القرآن من نقص البلاغة بسبب غموض كثير من مفرداته وآياته والتباسها، فإن للمرء أن يتساءل: لماذا لم يقم الرسول محمد بتفسير وشرح هذا الغموض القرآني؟ ألم تكن وظيفته «لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» بحسب ما جاء في القرآن نفسه؟ ألا يُعَدّ اختلاف المسلمين طوال تاريخهم على فهم القرآن دليل على عدم قيام محمد بوظيفته؟ والجواب هو: بالطبع نعم!

لقد أدَّى نقص بلاغة القرآن، وغرابة وإبهام معانيه وأفكاره، وعشوائية ترتيب آياته وسوره، وعدم انتظام سياقاته وموضوعاته، أدَّى كل هذا إلى مشاكل لا حصر لها، وتسبب في الكثير من الفُرقَة والعداء والكراهية والاقتتال بين المسلمين. فَهُمْ طوائف وفِرق ومذاهب متشاحنة متباغضة. وإنه لمن الحكمة البالغة تنحية هذا الكتاب عن مسرح الحياة، ووضعه على الرف، ليدرسه المختصون باللغة

والتاريخ كغيره من الكتب التراثية. فلقد أضر بنا القرآن أيما ضرر، وحان الوقت لمقاومته وكف أذاه عنا.

##  التفاهة والحشو

وفي موضوع ذي صلة بنقص البلاغة، نجد أن ثمة تشريعات وتفصيلات تافهة وغير ضرورية كثيرة في القرآن! وهذه التفاهة والحشو لا تليق بكتاب له منزلة عظيمة كالمنزلة التي يدّعيها القرآن لنفسه. فيفترَض بهذا كتاب أن يكون الرسالة الخاتمة للبشر جميعاً، بل وحتى للمخلوقات الخفيّة التي يسميها الجن! هذه الرسالة قادمة من الخالق العظيم الذي أوجد كل شيء. ولذا، يجب أن يحمل هذا الكتاب الكلمات النهائية للإله الأوحد في الكون، والذي سيصمت صمتاً إلهياً مهيباً بعد إنزال القرآن حتى نهاية الزمان وفناء الوجود! وسيقوم خلال هذا الصمت بمراقبة الخلق ليرى كيف يَحْيَوَن ويموتون وفق كلمات وحيه الخالدة!

إن الإنسان ليتوقَّع أن يجد في القرآن أعظم الِحكَمة وأروع الفلسفات؛ يتوقع أن يقرأ كتاباً يحترم عقله ويزيد علمه ويُهذِّب أخلاقه. ولكون هذا الكتاب مُعجِز كما يدّعي، فإن الإنسان يتوقع ألا يجد فيه زيادة ولا نقصاً، وأن تنساب معانيه الراقية وصُوَرُه الجمالية المبهرة إلى نفسه وعقله دون مقاومة، وأن يفهمها دون جهد، وأن يَتَّبِعها دون عناء.

وبعد كل هذه المكانة العظيمة والتوقعات العالية، نجد في القرآن آية تقول: فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا! وآية أخرى تقول: وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا، وآية ثالثة تقول: لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ! فيا لخيبة قارئ القرآن، ويا لشقاء المؤمنين به!

فهل الآيات السابقة وغيرها هي التشريعات الخالدة التي أرادها إله الكون العظيم لخلقه من العالمين لأبد الآبدين؟! لا يمكن تصديق هذا!

يمكن أن نَتَلَمَّسَ منبع تفاهة تشريعات القرآن لنجدها تنشأ من:

- خصوصية السبب، كالتشريعات الجنسية الخاصة بمحمد.
- انتفاء الحاجة، كتشريع زواج طليقة الابن بالتبني بعد تحريم التبني!
- البداهة والسطحية، كتشريع الأكل من بيت الإنسان أو من بيت صديقه، أو أن يأكل الناس مجتمعين أو فُراداً!

ولا تقتصر التفاهة على جانب التشريعات، بل تشمل المصير الأخروي الخالد للجنس البشري فيما لو آمن بمحمد! وهذا نجده ظاهراً في النعيم الذي وعد «الله العظيم» به البشر، فنجده يُمنِّيهم: بالأكل والشرب، وبالفُرُش والأقمشة والأثاث، وبأن يكون لهم خيام وغرف وبيوت خاصة بهم، ونساء كثيرات يمارسون الجنس معهم وقتما شاءوا! فهل هكذا وعود لائقة بالإله، بل هل هي لائقة بالبشر؟ وهل ستغري هذه الوعود الناس جميعاً بالإيمان بمحمد، بما فيهم الإنسان المتحضر الذي يملك في منزله اليوم أفضل مما يصفه القرآن، أو الإنسان الوفي لامرأة واحدة يحبها طوال حياته؟ إن هذه الوعود السخيفة لم تُغرِ حتى سادات قريش وأثريائها الذين امتلكوا البيوت والأثاث والسندس والاستبرق[(١)] والحرير والنساء! إن القارئ المحايد للقرآن سيفهم أن النعيم الأخروي المتمحور حول البيوت والطعام والجنس إنما كان لدغدغة أحلام الفقراء والصعاليك والعبيد والمحرومين في المجتمع ومحاولة تجنيدهم للانضمام لمشروع محمد.

ومن تفاهة التشريعات والأجوبة الوجودية، نجد تفاهة القصص التي يقدمها القرآن للبشرية! فنقرأ فيه قصصاً للأطفال عن حيوانات تتكلم وتفكر وتتخذ

(١) أنواع من الأقمشة الغالية كان أثرياء العرب قديماً يُحضِرونها من بلاد فارس.

القرارات وتقوم بالأعمال كالبشر! ومن هذه الآيات الطفولية: قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ! وآيات طفولية أخرى تنبئ البشرية المتعطشة للمعرفة عن طائر الهدهد الذي كان يعمل جاسوساً لصالح سليمان وينقل له الأخبار من اليمن إلى فلسطين: أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ! وفي قصة أخرى نجد وصف القرآن العظيم لكيفية تَحَوُّلِ عصا موسى إلى ثعبان: أَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ، ولاحظ أنه ليس أي ثعبان بل ثعبان مبين لا شُبهة فيه ولا شك!

كما نقرأ في القرآن الكثير من التشبيهات والحِكَم التي تستخدم الحيوانات، وكأن الإله العالِم بكل شيء -كما يزعم القرآن- لا يعرف إيصال الأفكار المجردة أو ضرب الأمثال الراقية للبشر، وأن غاية بلاغته تكمن في استخدام الحيوانات لإيصال المعاني للناس، تماماً كما في القصص التي ترويها الجَدَّات لأحفادهن! والأمثلة في هذا المجال كثيرة، نذكر منها قوله: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ! وقوله: كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾، والحُمُر هنا هي الحمير، والقسورة هو الأسد! ويقول في مثال آخر: فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث!

ولقد انتقد القرشيون تفاهة إله محمد، وعابوا عليه قصص الحيوانات التي يحاول إقناعهم بها. فأنزل الله المزعوم هذا آية تقول: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ البقرة! فَلَم يُقدّم كعادته أي تبرير أو تفسير منطقي لسبب استخدامه للأمثال والقصص الطفولية التافهة، وإنما اكتفى بذم منتقديه الفاسدين، وأخبرهم بأنه لا يستخدم هذه الأمثال إلا حتى يقهرهم ويُضلهم! فأي إله هذا؟!

وبالإضافة إلى التفاهة، نجد أيضاً حشواً كثيراً في القرآن. فكثير من الآيات

يتم تكرارها دونما داعٍ، مثل قصص موسى. كما يتم حشو كلمات وتفاصيل وأحداث لا فائدة منها ولا مبرر لتخليدها في آخر كتاب للبشرية! ولنأخذ مثالاً هنا في قوله: وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ النساء، فهذا التكرار لعبارة «لله ما في السماوات وما في الأرض» ليس سوى حشو وإطناب لا داعي له!

مثال آخر على الحشو نلحظه في قوله: وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ آل عمران، حيث نجد «اصطفاك» الأولى حشو لا فائدة منه. مثال آخر نجده في قوله: فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ الذاريات! قد يكون وصف العجل بالسمين هنا مفهوماً لو كان القرآن مجرد رواية يقرأها الإنسان قبل النوم. أما أن يتم ذكر تفصيل تافه كهذا في الكتاب الأخير الخالد للبشر فهو مجرد حشو لا أكثر!

والقرآن كثيراً ما يُلصِق حروفاً زائدة لا حاجة لها بالكلمات التي يستخدمها. من نماذج ذلك إدخال حرف الفاء على «أفَمن» الاستفهامية، فلو حذفنا هذا الحرف الزائد واستخدمنا «أَمَن» لما تغير المعنى في الأمثلة التالية:

- أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ النجم.
- أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ ﴿١٩﴾ الزمر.
- أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ ﴿١٧﴾ هود.

ونموذج آخر على حشو حروف زائدة لا حاجة لها نجده في الآية: أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴿٨١﴾ يس، وهنا يمكن الاستغناء عن حرفي: الواو في «أوليس» والباء في «بقادر»، دونما تأثير على المعنى.

وفي نموذج آخر على الحشو، نجد زيادة «إلى» في آيات كثيرة مثل:

- أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ الشعراء.
- أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴿٢٣﴾ آل عمران.
- أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٤٦﴾ البقرة.

ولا يقف الحشو في القرآن على الآيات والكلمات والحروف الزائدة، بل يتعداه إلى السور الكاملة! فهناك سور في القرآن يمكن اعتبارها زوائد حشوية لا تنفع البشر في أي شيء. ولو حُذِفَت هذه السور فلن ينتبه قارئ القرآن إلى عدم وجودها ولن يشعر بأي نقص، وذلك مثل سور الفيل والمسد والمعوذتين[1].

وعليه، فالقرآن مليء بالتشريعات والقصص التافهة وبالحشو الذي لا فائدة منه. وهذا ينفي عنه الإعجاز والكمال الذي يَدّعيه المسلمون، كما يقلل من أهميته، ويضع من مكانته، ويَشي بأنه كتاب بشري كتبه شخص (أو أكثر) لأغراض دنيوية لا علاقة لها بإله الكون -على افتراض وجوده-. وإنه لا يَصِحّ بحال من الأحوال أن يكون كتاباً تهتدي به البشرية خلال رحلتها الملحمية على ظهر هذا الكوكب.

##  الأخطاء اللغوية

على غير ما يظنه كثير من عامة المسلمين، يزخر القرآن بالكثير من الأخطاء اللغوية، سواء على مستوى استخدام الكلمات والضمائر، أو على مستوى الأخطاء النحوية والإملائية.

من الأمثلة على ذلك ما نجده في الآية: حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

(١) كان الصحابي عبدالله بن مسعود لا يضع سورتي المعوذتين في مصحفه.

﴿١٨﴾ النمل. يحاول الكاتب في هذه الآية أن يصف ما حدث عندما وصل جيش سليمان وادي النمل، ولكنه استخدم عبارة خاطئة! فقوله «حتى إذا أتوا على واد النمل» يعني بعد أن قطعوا وتجاوزوا وادي النمل! وهذا مثل أن يقول أحدهم: «أتيت على القصعة» يعني أكلت كل ما فيها، أو يقول: «أتيت على الصحراء» بمعنى قطعتها وتجاوزتها. لذا، فلقد كان الأصوب أن يقول كاتب هذه الآية: «حتى إذا بلغوا واد النمل»(١).

أما بالنسبة للأخطاء النحوية في القرآن، فهو موضوع شهير وقد أُشبِع بحثاً. ولذا لن أسهب فيه كثيراً هنا، وسأكتفي بإيراد بعض الأمثلة فقط.

- المثال الأول:

يقول القرآن: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿٦٢﴾ القرآن. ويقول أيضاً: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ ﴿١٧﴾ الحج. وفي الآيتين تأتي كلمة «الصابئين» منصوبة بشكل صحيح لأنها معطوفة على منصوب.

ولكن في هذه الآية: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ ﴿٦٩﴾ المائدة، نجد «والصابئون» وهي هنا خطأ واضح، حيث أوردها القرآن مرفوعة بينما كان يجب أن ينصبها ويقول «والصابئين» لأنها معطوفة على منصوب.

- المثال الثاني:

في حين رفع القرآن معطوفاً على منصوب في المثال الأول، نجده هنا قد نصب معطوفاً على مرفوع، حيث قال: لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ مِنْهُمْ وَالمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً ﴿١٦٢﴾ النساء. حيث كان من المفترض قول «والمقيمون» أسوة ببقية المعطوفات في الآية.

(١) المصدر: https://youtu.be/czRXRxLSKrw

- المثال الثالث:

قوله: وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ﴿٦٩﴾ التوبة، والصواب هو «كالذين».

وبالطبع، يقوم المسلمون بالرد على كل «شبهة» تقول بوجود أخطاء نحوية في القرآن. فيقولون إن القرآن سابق لقواعد اللغة العربية، وبالتالي هو حاكم عليها وليست هي التي تحكمه. كما يقولون إن وجود الخطأ في القرآن مستحيل لأن الرسول أفصح العرب وهو قد جاء به لأفصح الناس في زمانه. ولقد آمن به الصحابة ولم يستشكلوه، كما لم يَعِبْ القرشيون على لغته. ولو كان فيه أخطاء لما قبله الصحابة ولما سكتت عنه قريش. ثم يسوقون لكل خطأ تخريجات لغوية تجعله صحيحاً.

وتبريرات المسلمين هنا تقوم على افتراض إيمان الإنسان بفضل الصحابة أساساً، وهذا يجعل تبريراتهم مقبولة عند المسلمين. أما غير المسلم فلن يقبلها لأنه غير مقر بفضل الصحابة وعلو كعبهم في اللغة، بل يراهم مجموعة من الأُميين، آمن أغلبهم بعدما انتقل محمد إلى المدينة وأصبح لديه دولة وجيش يمارس الغزو والسبي!

تبريرات المسلمين تفترض أيضاً أن جميع ما قاله كفار قريش قد وصلنا كاملاً. وهذا ليس صحيحاً كون ما وصلنا عنهم إنما جاءنا عن طريق المسلمين الذين هم طرف غير محايد بطبيعة الحال! فما يدرينا لعل القرشيين رفضوا القرآن بسبب أخطاءه اللغوية، وأنهم قد جاؤوا بأحسن منه، ولكن المسلمين لم ينقلوا ذلك وتعمّدوا إخفاءه حتى طواه النسيان. وعلينا ألا ننسى أن التاريخ يكتبه المنتصر!

وأياً يكن الأمر، فيمكن للقارئ الكريم البحث بنفسه في مجال الأخطاء النحوية في القرآن، والاطلاع أكثر على حجج الطرفين والاقتناع بما يراه صواباً.

ننتقل الآن لإيراد بعض الأمثلة على الأخطاء الإملائية في القرآن:

| الآية | الخطأ | الصواب |
| --- | --- | --- |
| ٧ الفرقان | وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ | وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ |
| ١٨ المائدة | نَحْنُ أَبْنَٰؤُا اللَّهِ | نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ |
| ٨٥ غافر | سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ | سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ |
| ٨٣ النحل | يعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ | يعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ |
| ٢١٨ البقرة | يرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ | يرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ |
| ٢٣ الكهف | وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاىءٍ | وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ |
| ٩٤ طه | قَالَ يبنؤم لَا تَأْخُذْ | قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ |

مما يزيد من صعوبة تبرير أخطاء القرآن الإملائية على المسلمين كتابة بعضها بشكل صحيح في آيات أخرى. فلو أخذنا الآية الأخيرة من الجدول أعلاه مثلاً، لوجدنا «قَالَ ابْنَ أُمَّ» قد كُتِبت صحيحة في الآية ١٥٠ من سورة الأعراف، ولم تُكتب «بنؤم» كما في سورة طه!

يقول كثير من المسلمين أن كتابة القرآن توقيفية. وهي موجودة بين أيدينا كما كتبها الصحابة بأمر الرسول، وكما هي في مصحف عثمان بن عفان. ولكنهم في ذات الوقت يُقِرّون بأن الكثير من حروف الألف قد أُضيفت لاحقاً[١]، كما تم إضافة الهمزات والنقط وحركات التشكيل إلى نص القرآن بعد ذلك!

لقد أقرّ باحثون مسلمون كُثُر بوجود الأخطاء الإملائية في النص القرآني. وأن الأمر لا علاقة له بخصوصية الرسم العثماني ولا لغيره. فيَرى[٢] ابن الفراء

(١) يُقال أن الحجاج أضاف أكثر من ألف (١٠٠٠) أَلِف ( ا ) إلى رسم القرآن. ويشهد لهذا نُسَخ القرآن القديمة التي خَلَت من حروف الألف؛ راجع فصل «التحريف» في هذا الكتاب.

(٢) مصدر أقوال المسلمين في هذه الفقرة هو مقدمة: المصحف الشريف المنسوب إلى عثمان بن عفان - نسخة طوب قابي سرايي

(ت٨٢٢م): أن قواعد الإملاء لم تكن متطورة زمن كتابة المصحف، وأن الكَتَبة من الصحابة لم يكونوا من المتمرسين في الإملاء ولذا ارتكبوا أخطاءً إملائية مثل: حذف الياء من «تغني» في قوله: فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾ القمر وإثباتها في قوله: وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ ﴿١٠١﴾ يونس.

ولقد وافق ابن قتيبة (ت ٨٨٩م) ابن الفراء في عدم تمرّس الصحابة في الكتابة. ووافقه ابن كثير (ت ١٣٧٣م) في عدم تطور قواعد الإملاء وقت تدوين القرآن أول مرج. كما وافقه أيضاً ابن خلدون (ت ١٤٠٦م) وأورد أمثلة على سوء إملاء القرآن، مثل زيادة ألف لا حاجة لها في قوله: لَأَاْذْبَحَنَّهُ ﴿٢١﴾ النمل، وزيادة ياء في: بِأَيْيدٍ ﴿٤٧﴾ الذاريات.

##  الاختلافات التاريخية

اشتمل القرآن على مجموعة من المعلومات التاريخية التي لا تتوافق مع ما كان مدوَّناً في الكتب المقدسة قبله ولا مع ما كان يعرفه الناس في زمانه. وفي الحقيقة، لا يمكن الوثوق بالتاريخ المدوَّن في الكتب المقدسة، وعليه لا يمكن وصف معلومات القرآن التاريخية بالخاطئة. فهكذا وصف يحمل بين طياته تزكية للكتب المقدسة قبل القرآن، ويجعلها مرجعاً تاريخياً نحتكم إليه، بينما هي ليست كذلك. وعليه، فإن الإشكال الذي وقع فيه القرآن كان خطأه وارتباكه في النقل عن تلك الكتب القديمة.

على سبيل المثال، يوجد في التاريخ اليهودي شخصيتان شهيرتان باسم «مريم» هما:

- مريم إبنة عمران وأخت هارون وموسى.
- مريم أم عيسى، والشهيرة بمريم العذراء.

ولقد خلط القرآن بين الشخصيتين، فجعل أخت موسى هي ذاتها أم عيسى! مع أن بين زمن موسى وزمن عيسى أكثر من ألف سنة بحسب التاريخ اليهودي! يقول القرآن: وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ التي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴿٦٦﴾ التحريم، ويقول أيضاً: يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً ﴿٢٨﴾ مريم!

ولقد استنكر المسيحيون في زمن محمد هذه المعلومة الخاطئة بالنسبة لهم. ولم يجد محمد إلا تبريراً هزيلاً لهذا الخطأ، وذلك كما نقرأ في هذا الحديث الذي رواه مسلم: قال المغيرة بن شعبة: لما قَدِمْتُ نجران سألوني فقالوا: إنكم تقرؤون «يا أخت هارون» وموسى قبل عيسى بكذا وكذا. فلما قَدِمْتُ على رسول الله سألته عن ذلك. فقال الرسول: إنهم كانوا يُسمُّونَ بأنبيائهم والصالحين قبلهم! محمد يقصد أن القرآن نسب مريم العذراء إلى هارون لأن هذا كان من عادة اليهود؛ ولا يوجد أي منطق في ادعاء محمد هذا أو دليل يدعمه!

ويمكن للقارئ الكريم البحث في هذا الموضوع[١] لمعرفة المزيد. فهناك مثلاً «هامان» الذي جعله القرآن وزيراً لفرعون بينما هو كان وزيراً فارسياً وليس له علاقة بمصر. وكذلك فعل مع «قارون». وأيضاً الخطأ في اسم والد «إبراهيم». وتسمية صانع العجل بالسامري قبل أن يكون «للسامرة» وجود، وغير هذا.

ولا ننسى اقتباس القرآن لأسطورة «النيام السبعة» من موعظة القديس السرياني «يعقوب السروجي» وتقديمها كقصة واقعية حصلت فعلاً باسم «أصحاب الكهف»[٢]! ولم يكتفِ القرآن بهذا الخطأ الواضح، بل استخدم القصة للرد

(١) يمكن البحث في جوجل مثلاً عن «أخطاء تاريخية في القرآن» والقراءة من المصادر المعتبرة والاطلاع أيضاً على ردود المسلمين.

(٢) قصة «النيام السبعة» معروفة في الأدب القديم للكثير من الأمم قبل الإسلام وحتى قبل المسيحية. ويمكن الاطلاع على المزيد عنها هنا أو هنا أو هنا وفي غيرها من المراجع.

على سؤال اليهود عن الفتية! فبحسب أسباب نزول سورة الكهف، أرادت قريش اختبار محمد، فاستعانوا باليهود ليعطوهم أسئلة الاختبار. فأعطاهم اليهود ثلاثة أسئلة، من ضمنها سؤاله «عن فتية ذهبوا في الدهر الأول قد كانت لهم قصة عجب[١]». وبعد أن تأخر محمد في الرد متعللاً بأنه لم يقل «إن شاء الله»، جاء وسرد عليهم قصة النيام السبعة. واليهود لا يؤمنون بهذه القصة أصلاً ويعتبرونها من تخريفات المسيحيين! وبالطبع، فالمصادر الإسلامية لا تذكر رد اليهود أو قريش على إجابات محمد هذه!

##  الأسبقية

لا يكاد يوجد في القرآن أي جديد، إلا ما يتعلق بالأحداث والأحكام الخاصة بمحمد وبعض التفصيلات الفقهية والاختلافات التاريخية. فكل ما في القرآن تقريباً من تشريعات دينية وقصص تاريخية نجد مثيله في الكتب والأديان التي سبقته. فالقصص التي يسردها، والشخصيات التي يناقشها، والأجوبة الوجودية التي يطرحها، والمعارف العلمية التي يقدمها، كل ذلك مسبوق في معارف وكتب وأديان وأساطير الأولين.

والأمثلة في هذا المجال كثيرة. وسأشير لبعضها إشارات عابرة[٢]، ويمكن للمهتم البحث عنها لمزيد من التفاصيل إن أراد.

أسهب القرآن في ذكر اليهود وقصصهم وأنبيائهم، حتى أن المرء ليظن أنه كتاب يؤسس لمذهب يهودي جديد! ولقد أخذ عن اليهود: فكرة توحيد الإله، ووجود

(١) مصدر العبارة كتاب: قريش تمتحن رسول الله، محمد رشيد رضا.

(٢) سردت أكثر الأمثلة من ذاكرتي، وأعتذر عن ذكر مصادر كل مثال لأنني لا أتذكرها بالتحديد. فهذه الأمثلة قد علقت في ذهني من قراءاتي المتعددة، ومن مشاهداتي لبرامج في قناة د. سامي الذيب على يوتيوب، وسؤال جريء للأخ رشيد، وصندوق الإسلام لحامد عبدالصمد، وغيرها.

الملائكة والجن والشياطين، وتشريع الصلاة، والدعاء، وسن الحدود، وتحريم لحم الخنزير، والسحر، والعين، والرقية وغيرها. كما تناول قصصهم التاريخية الرئيسية جميعها، عن الأنبياء ومصر والتيه وغيرها، وإن باختصار واقتضاب شديدين.

وأخذ القرآن عن الديانة الزرادشتية[١]: قصة شق صدر النبي زرادشت، والإسراء والمعراج، والصيام شهر في السنة، وحد الردة، وعذاب القبر ونعيمه، وغيرها.

أما من المسيحية، فأخذ القرآن بعض القصص وبعض الحِكم من الإنجيل[٢]. كما أخذ أيضاً من الأناجيل المنحولة، مثل أخذه عن «الناصريين» إنكار الطبيعة الإلهية للمسيح وأنه مجرد نبي كغيره من أنبياء اليهود. وأخذ قصة كلام المسيح في المهد من إنجيل الطفولة. وأخذ أيضاً من الأدب المسيحي القديم كقصة «النيام السبعة» الشهيرة التي قدّمها باسم قصة «أصحاب الكهف».

جلّ ما عمله القرآن مع الاقتباسات التي أخذها كان اختصارها وإعادة صياغتها في قالبه اللغوي مع تغيير بعض تفاصيلها لتتناسق مع طرحه الخاص.

المسلمون يقولون إن تشابه الإسلام مع ما سبقه من الديانات السماوية متوقَّع ولا إشكال فيه طالما أن مصدر هذه الديانات واحد، وهو الله. ولكن هذا التبرير الميتافيزيقي لا يُقنِع غير المسلمين! والتفسير الأقرب والأكثر منطقية وقبولاً هو نقل مؤلف (أو مؤلفو) القرآن عن الثقافات والديانات التي سبقته. وهذا النقل لم يكن أميناً، حيث لم يُحِل إلى المصادر الأصلية، وإنما نسب المعلومات إلى كائن غيبي اسمه «الله»!

هناك بعض المعلومات الواردة في القرآن قد تبدو فريدة وغير مسبوقة، مثل المعلومات التي يبني عليها المسلمون «الإعجاز العلمي». ولكن وجود هذه

(١) المصدر: http://www.alzakera.eu/music/religon/religon-0118.htm

(٢) انظر مثلاً كتاب «الله والكون والإنسان»، فراس السواح، ص ١٣٧

المعلومات لا يشفع للقرآن في إثبات أصالته، كما لا يمكن اعتباره دليلاً على مصدره الإلهي! فمجرد عدم معرفة مصدر معلومة ما لا يُعدّ دليلاً على عدم وجود هذا المصدر. وفي الحقيقة، لو تتبعنا الكثير من معلومات الإعجاز العلمي في القرآن لوجدنا إشارات في ذات النص تدل على كونها مسبوقة. فمثلاً في قوله: أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴿٣٠﴾ الأنبياء، نجد القرآن يحاجج الكافرين في زمن محمد بحقيقة يعرفونها، وذلك في قوله «أولم ير الذين كفروا». إذاً، ففكرة فصل السماء عن الأرض لم تكن فكرة جديدة أو سبقاً علمياً. وبمزيد من البحث، يمكن للإنسان أن يعرف أن فكرة فصل السماء عن الأرض كانت منتشرة في الثقافات القديمة التي سبقت الإسلام[(١)]. وعلى كل حال، فإن القول بأن السماء والأرض كانتا رتقاً (متصلتين) ثم فصل بينهما الإله (فتقهما) هي فكرة خاطئة وتخالف العلم الحديث.

##  كتاب غُفْل

يقول القرآن على لسان الله: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴿٩﴾ الحجر، وبالتالي فالمسلمون يقولون: القرآن تأليف الله[(٢)]! ولكن القاعدة المعروفة والمطَّرِدة هي: لكل كتاب مؤلف من البشر. والله ليس بشراً بالطبع[(٣)]! إذاً، فحتى نقبل الادعاء بأن الله هو مؤلف القرآن، فإننا نحتاج لدليل على كسر قاعدة التأليف.

يستخدم المسلمون القرآن للتدليل على قولهم الآنف الذكر. فيحتجون بكون أن الله قد نسب القرآن إلى نفسه، وأيضاً بكون القرآن كتاب معجز. وهذه الحجج ساقطة من جهتين:

(١) راجع موسوعة أساطير الخلق في العالم Creation Myths of the World ص ٣٤٦.

(٢) المسلمون غير متفقين هل القرآن كلام الله أم مخلوق من مخلوقات الله. وأياً يكن، فهذا الخلاف لا يشكل فرقاً جوهرياً فيما نحن بصدده هنا.

(٣) أحيل بالفضل هنا إلى د. سامي الذيب الذي أثار هذه الفكرة في إحدى لقاءاته.

١) لا يمكن قبول ادّعاء الله نسبة الكتاب لنفسه طالما أنه كائن غيبي لا يمكن التواصل معه للتوثيق.

٢) التحدي بإعجاز القرآن تحدي فارغ كما بيَّنا سابقاً في هذا الكتاب.

وعليه، فمع عدم وجود إنسان ينسب القرآن لنفسه، ومع عدم قبول ادعاء المسلمين، فإن مؤلف القرآن مجهول Anonymous، أي أن القرآن كتاب غُفْل.

لا توجد مشكلة مبدئية مع الكُتُب الأغفال، فثمة كتب رائعة كثيرة اختار مؤلفوها إخفاء هوياتهم بسبب الخوف على سلامتهم أو لأي أسباب وجيهة أخرى[١]. لكن المشكلة مع القرآن أن مؤلفه اختار نسبة عمله إلى «الله» بغرض الخداع، مما يناقض الأمانة العلمية والشجاعة الأدبية. ولو أن القرآن سار على طريقة الأناجيل، التي يعترف بها مؤلفوها ولا ينكرونها، لكان ذلك أفضل في حقه[٢]. لكن التزييف الذي انتهجه القرآن كان ضرره عليه أكبر من نفعه.

* * *

(١) كتابي هذا هو كتاب غفل!

(٢) هذا ليس مدحاً للإنجيل، فهو كالقرآن كتاب تراثي من صنع البشر ولا علاقة له بأي آلهة!

# أخلاق الإسلام

يظن المؤمنون أن أديانهم هي مصادر الأخلاق، وأن البشر لا يمكن أن يكونوا أخلاقيين من غير دين! ويبالغ المسلمون في هذا الجانب ويعتقدون أن دينهم قد بلغ الغاية في الأخلاق، وأنه لا يمكن لأحد أن يجد مأخذاً في أخلاق الإسلام ناهيك عن أن يأتي بأفضل منها! وكالعادة، فإن حكم المؤمنين على أديانهم يكون منحازاً وبعيداً عن الصواب غالباً. ولقد رأينا سابقاً ما يحتويه الإسلام من ظلم لفئات كبيرة من البشر، والظلم أقبح الأخلاق وأحطها، وإنَّ كل خُلُقٍ سيء بعد الظلم يُعَدُّ هيّناً نسبياً. وسنستعرض في هذا الفصل نماذج أخرى من سوء الأخلاق في الإسلام.

##  مبادئ الأخلاق

يشترك الإنسان مع غيره من الكائنات الحية في «غريزة البقاء»، وهذه الغريزة تحتم على كل كائن الحفاظ على وجوده كفرد وأيضاً على وجوده كنوع. ومقاومة الانقراض هذه تفرض على الكائنات نوعاً من السلوكيات يمكن تسميتها بـ «الأخلاق الغريزية». فالاعتداء على الآخرين مثلاً يكون مرفوضاً إذا لم يوجد مبرر ضروري له، كالحصول على الطعام اللازم للحياة مثلاً. ورفض الاعتداء غير المبرر على الآخرين سببه الحفاظ على سلامة المعتدي وليس المُعتَدَىٰ عليه. فالمُعتَدِي في هذه الحالة سيستثير خوف المُعتَدَىٰ عليه ويجعله يدافع عن نفسه. وهذا الدفاع قد يعود بالأذى على المُعتَدِي، فيَهلَك حينها دونما سبب أو حاجة لذلك. وعليه، فإن الاعتداء في هذه الحالة يصبح مرفوضاً، أي أنه غير أخلاقي غريزياً.

ومع قدرة الإنسان على استخلاص الدروس من تجاربه وعلى تراكم معارفه،

فإنه أصبح قادراً على تطوير منظوماته الأخلاقية بالشكل الذي يضمن له أفضل وجود ممكن. كما أنه أدخل الكلام ضمن نطاق الأخلاق، فأصبح متميزاً عن الحيوان بنوع جديد من الأخلاق، وهو أدب الحديث.

ويمكننا أن نرى من هنا أن دافع الأخلاق الأساسي هو دافع المصلحة الذاتية. وامتلاك الإنسان للعقل جعله قادراً على إيجاد منظومة أخلاقية أكثر تعقيداً ورُقياً من الأخلاق الغريزية. فالمصلحة عنده لم تَعُد مرتبطة فقط بالبقاء بشكل مباشر، وإنما أصبح لديها تفرعات كثيرة، مثل:

- الارتقاء بالمكانة الاجتماعية التي يدركها الإنسان بالوعي،
- الرضى عن الذات عبر تلقي المديح بالنطق وفِهْم الكلام،
- رفاه العيش عبر استتباب الأمن وقدرة الإنسان على إنتاج أكثر مما توفره الطبيعة.

ولم يكن تأثير العقل إيجابياً على الأخلاق دوماً، بل هو أيضاً جعل الإنسان قادراً على كسر الدوافع الأخلاقية الغريزية أحياناً والتصرف ضدها. ولذلك نرى الإنسان مثلاً يعتدي ويظلم بدافع الطمع معتمداً على الثقة بعقله ومتجاهلاً عواقب ذلك عليه وعلى نوعه.

ولكون الهدف الأسمى للأخلاق هو الحفاظ على الفرد وعلى النوع، ولأن الإنسان قادر على تجاوز هذا الهدف بما يملكه من عقل وإرادة، فإن الالتزام بالأخلاق من أقوال وأفعال أصبح واجباً أخلاقياً بحد ذاته على الإنسان. فكلما مارس الإنسان الأخلاق بدافع ذاتي بعيداً عن الخوف وعن الفرض والرقابة الخارجية، فإنه يكون حينها أكثر أخلاقاً، وبالتالي أكثر حفاظاً على وجوده ووجود نوعه المتمثل في عائلته ومجتمعه.

إذاً، فالأخلاق الإنسانية قيمة جوهرية تنبع من ذات الإنسان ومن إرادته الحُرة. ومتى ما نزعها الإنسان من ذاته ومارسها بسبب فرضها عليه من قِبَل قوة خارجية فقط، فإنها لا تغدو أخلاقاً حينها. ومن هنا، فيمكننا القول أن الإيمان بالدين يفرض على المؤمن أن يكون «غير أخلاقي» حتى وإن مارس أقوال وأفعال الأخلاق! لأن ممارسته ليست نابعة من ذاته، وإنما مفروضة عليه بدافع الخوف من إله شديد العقاب.

وثمة ضرر آخر يُلحقه الدين بالأخلاق هو قلب المفاهيم الأخلاقية عند الإنسان، وتأسيس مرجعيات أخلاقية لا تقبل النقد. وهذا يعني أن الأخلاقيات السيئة يتم طرحها كأخلاقيات حسنة يجب على المسلمين قبولها والعمل بها والدفاع عنها. وحينها تغدو تعاليم الدين هي الأخلاق وليست تجارب الإنسان ومصالحه ومعارفه المتراكمة. فالمؤمن قد يقتل (يجاهد) أو يستعبد (يسترق) أو يغتصب (يسبي ويغنم) وهو يرى أن أفعاله هذه هي أفعال أخلاقية لأن الدين سمح له بها!

الإسلام أيضاً يوفر غطاءً للسيئين يستغلونه في خداع الآخرين. فمحمد كان يمتدح المؤمنين به كثيراً ويلصق بهم الصفات الحسنة. وهذا أثّر في الكثير من المسلمين السذج وجعلهم يحسبون أن الملتزمين بالدين أطهار أنقياء وذوو أخلاق نبيلة! ولكن الحقيقة هي أن البشر فيهم الصالح والطالح. فالإنسان الخلوق يبقى كذلك سواء كان مسلماً ملتزماً أو غير ملتزم، والإنسان السيئ يبقى كذلك سواء كان ملتزماً أو غير ملتزم. وإن مدح وتبجيل الإسلام للملتزمين به يوفر فقط بيئة خصبة للسيئين تمكّنهم من خداع الناس بالمظاهر، مثل إطلاق اللحى ولبس الثياب القصيرة وترديد بعض العبارات الدينية ونحو ذلك.

وبالإضافة لما سبق، فإن التوبة والصلاة والاستغفار قد تشجع الإنسان على السلوك السيئ. فالأهم عند المسلم هو رضا «الله» عنه، وليس رضا الناس.

وعليه، فإن أخطأ المسلم في حق شخص آخر أو في حق المجتمع أو الحيوان أو البيئة، فإن عليه أن يتوب إلى «الله» أولاً، وتأتي حقوق غيره في مرتبة ثانية! ويمكن أن نلتمس هذا في قصة موسى قبل أن يصبح نبياً. حيث أنه قد قتل نفساً بغير حق، فاستغفر الله فغفر له وجعله نبياً! أما فرعون الذي طارد موسى وأراد معاقبته على فعلته الشنيعة تلك فإن القرآن يبالغ في ذمه وتشويهه فقط لأنه لم يؤمن بموسى! كما نجد القرآن ينتقد فرعون على استعباد بني اسرائيل، بينما القرآن ذاته لا يعارض استعباد المسلمين للرقيق من الأمم الأخرى!

ضرر آخر يُلحقه الدين بالأخلاق هو حرمان الإنسان من قيمتين أخلاقيتين هامتين، هما: التجرّد والنزاهة. فالمؤمن يُصدِّق كل ما في دينه ويَعمل به ويَرفض كل ما سواه دون أن يُعمِلَ عقله فيه. وهذا عمل لا أخلاقي لأنه يُفوّت على الإنسان فرصة إعمال العقل وتبادل الخبرات وتصويب الأخطاء وتطوير الأفكار والأخلاق.

إذاً، فالدين يفرض منظومة أخلاقية محددة ويكسر ذلك الارتباط بين الأخلاق والمصلحة الإنسانية. كما ويمنع الأخلاق من التطور بتطور الإنسان ومعارفه. فالمؤمن ينساق خلف تعليمات الدين حتى وإن لم تكن أخلاقية! فيحصر المعاملة الحسنة مثلاً على «إخوته» من المؤمنين ويمنعها عن بقية الناس من الكافرين!

##  الدين المعاملة

يقوم الإسلام بتفريغ الكثير من الشعارات الأخلاقية التي يرفعها من مضامينها، ومنها شعار «الدين المعاملة»! فإذا نظرنا لتشريعات الإسلام بشمولية، ونظرنا لتطبيقات التاريخ وللواقع، وجدنا أن الدعوة لحسن المعاملة في الإسلام ليست سوى شعار أجوف يردده الخطباء والناس في كلامهم كنوع من الدعاية لا أكثر. فتعاملات المسلمين فيما بينهم ليست بأفضل حالاً مما هو عند بقية الناس، إن لم تكن أسوأ! كما أن تشريعات الإسلام كثيراً ما تحصر حسن التعامل فيما بين

المسلمين أو أتباع المذهب فقط، وتمنعه عن غيرهم بحجة أنهم كفار أو عصاة!

وبالإضافة للتمييز الديني في التعامل، يضيف الإسلام مبدأ «الانتقام» ويرى أنه العدل الذي يجب أن تقوم عليه علاقات البشر. فمعاملة المسيء بالمِثل، مهما كانت تلك المعاملة، هي العدل. لا وجود للتسامح والصبر والعفو إلا في حالة الضعف أو عند وجود مصلحة، فالعين بالعين والسن بالسن. ومهما كانت وضاعة المعتدي فإن الإسلام يبيح لأتباعه أن ينحدروا إلى مستواه! فيجيز لهم قتل الناس مثلاً بأبشع الطرق كالتحريق بالنار[1] وتهشيم رؤوسهم بالحجارة! بل إن الإسلام يُظهِر الله بجلالة عظمته يمارس الانتقام ومقابلة الشر بالشر! فالكفار مثلاً يشتمون محمداً أو يعايرونه، فيقوم الله بشتمهم ومعايرتهم بالعقم والتتبيب[2] مثلاً، مع توعّدهم بالعذاب. فالله في الإسلام لا يصون مكانته العالية ولا يُبدي حكمته عند معاملة خلقه الناقصين الضعفاء!

ونتيجة لانعدام التسامح الحقيقي من قاموس الأخلاق الإسلامي، نجد أنه ليس في أنفس المسلمين فسحة للاختلاف. فهم يؤمنون بمبدأ الأخوة في الدين وبغض الكافرين، حتى وإن كانوا آباءهم أو إخوانهم! يقول القرآن: لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴿٢٢﴾ المجادلة. وعلى هذا قامت عندهم عقيدة «الولاء والبراء» التي تحصر الحب والرأفة والمعاملة الحسنة على المؤمنين -وفي أحيان كثيرة على أتباع الطائفة فقط- وتجعل الكره والشدة والجفاء من نصيب الكافرين -وفي أحيان كثيرة من نصيب الطوائف الأخرى أيضاً-! يقول القرآن: مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴿٢٩﴾ الفتح!

ونتيجة لهكذا تأسيس أخلاقي، فإننا نجد قلوب عامة المسلمين ضيقة حرجة

(١) هناك خلاف بين المسلمين في مسألة حرق الناس. ومن المعيب أن يكون هذا محلاً للخلاف أصلاً!

(٢) انظر: سورة النصر وسورة المسد في القرآن.

تستعر بالكراهية والبغضاء، وتسيل ألسنهم بالشتيمة والتحقير تجاه مخالفيهم. وإذا ما كانوا الطرف الأقوى، فإننا نجدهم من أقسى الناس وأكثرهم دموية وأجلفهم وأشرسهم في معاملتهم للآخرين، كما قرأنا في التاريخ ورأينا في الواقع ممن يسمون أنفسهم بالمجاهدين.

##  الشتم والتحقير

كثيراً ما استوقفني الشتم وتحقير الناس في القرآن وفي السيرة وجعلني أتساءل: كيف لإله الكون العظيم أن يتفوّه بهكذا كلام من أجل إقناع البشرية بدينه الخاتم؟! إن الناس الأسوياء يحتقرون سَيئي الأخلاق ويشمئزون من كلامهم، وإنه من غير اللائق ومن غير المنطقي أن يضع الله ورسوله نفسيهما في منزلة هؤلاء. ولكن القرآن والسيرة تخبرنا أن الله ورسوله قد وضعا نفسيهما فعلاً في منزلة سيئي الأخلاق! فقد رُوي عن محمد تفوهه بالشتم[١] وأيضاً تأييده لشاتمي مخالفيه[٢]. كما أنه كان يُحرّض زيد بن ثابت على شتم قريش ويقول له: اهجهم أو هاجهم وجبريل معك؛ رواه البخاري.

أما الله المزعوم، فهذا بعض كلامه كما ورد في القرآن:

- إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ الفرقان
- إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴿٢٨﴾ التوبة
- عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ القلم
- تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ المسد
- أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴿١٧٩﴾ الأعراف

(١) مثلاً حديث: إذا الرجل تعزى بعزاء الجاهلية، فأعضوه بهن أبيه، ولا تكنوا.

(٢) كتأييد أبي بكر حينما قال «امصص بظر اللات» لعروة بن مسعود.

- فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ﴿١٧٦﴾ الأعراف
- كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴿٥﴾ الجمعة
- كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ المدثر
- فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ البقرة

فلماذا يحتاج الخالق القوي العظيم إلى شتم وتحقير أشخاص أو جماعات من خلقه؟ أليس هذا سلوكاً إنسانياً يلجأ إليه عادة سيّئ الخُلق أو العاجز الضعيف؟ فهل الإله سيّئ الأخلاق أو عاجز عن إقناع خلقه، فيلجأ إلى تفريغ غلّه وحنقه منهم بشتمهم وتحقيرهم في كتابه الخالد؟! ألا يُفترض أن يكون الإله حليماً حكيماً رحيماً عارفاً لمحدودية خلقه العقلية والنفسية ومراعياً لها؟ أليس من المفترض أن يتسامى عن الانفعال والغضب ويُقدِّم نفسه أمام خلقه كالمتجرِّد والمتنزِّه عن صفات الخلق الذميمة؟

ولقد تعلَّم كثير من المسلمين للأسف أسلوب الشتم من الإسلام وأخذوا يمارسونه للدفاع عن دينهم! فأصبح كل من يريد نقد الإسلام يفكر ألف مرة في الشتم الذي سيتلقاه من المسلمين -ناهيك عن الأذى والتهديد أو حتى القتل-! وكثيرون يُحجِمون عن نقد الإسلام حرصاً على أنفسهم من قذاعة ألفاظ وسوء أخلاق المدافعين عن هذا الدين! والمسلمون إنما يريدون إسكات مخالفيهم وناقدي دينهم دون تقديم أي حجة أو علم، فقط بالشتم والتجريح. وإن العاقل هو من يطرح ما عنده من نقد ويُعرِض عن الشتّامين ولا يخوض في مستنقعهم.

##  احتقار الإنسان

يزعم الله في القرآن أنه واهب العقل للإنسان، وأنه بذلك قد منحه الحرية والقدرة على التفكير والاختيار، كما أمره باستخدام عقله من أجل أن يوصله لعبادة

الله. ومن أجل هذه الهبة الربانية، رفع الله مكانة الإنسان على بقية المخلوقات وكرّمه، حيث قال القرآن: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ الإسراء.

لكننا نجد المفارقة عندما يمتهن اللهُ الإنسانَ وعقلَه، ويغريه بالراحة والأكل والجنس والخمور في الجنة! فإن كان العقل هو جوهر الإنسان، وهو الذي يميزه عن بقية المخلوقات، وقد كرّمه الله بسببه، فلماذا يُنحِّي اللهُ العقلَ جانباً عندما يدعو الإنسانَ للإيمان به، ويَعِدُهُ بمتع حيوانية إن استجاب له؟! كان الأحرى بهذا الإله أن يزيد تكريم الإنسان في الجنة عن طريق تخليصه من سماته الحيوانية أكثر وزيادة نصيبه من النِعَم العقلية والإدراكية، فيجعل نعيم الجنة نعيماً عالياً متسامياً من النوع الذي يليق بالعقل. وطالما أنه لم يفعل هذا، فإنه يمتهن الإنسان!

وفي الحقيقة، فالقرآن يحتقر الإنسان ويستنقصه صراحة، ويلصق به كثير من الصفات المذمومة والسلبية. فهو ظلوم وجهول وهلوع وقتور وكفور وجاحد وخصيم ويائس إلخ.

- وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ الأحزاب
- إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ المعارج
- وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ الإسراء
- وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ هود

وما سبق مجرد أمثلة، وهناك آيات أخرى وأحاديث تحتقر الإنسان وتمتهنه. بل حتى أن أصل خلق الإنسان سواء كان طيناً -كما يصوره القرآن- أو منياً يحتقره القرآن ويمتهنه، فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ الطارق.

كما ويحتقر الإسلام حياة الإنسان ويصفها بأنها متاع الغرور ولعب ولهو ولا

قيمة لها. وأن الدنيا ملعونة وليست سوى ظل شجرة يقيل الإنسان تحتها ساعة من نهار ثم يرحل. أما الموت وما بعده من متع حيوانية فهو الغاية وهو النهاية التي يجب أن يُسخِّر الإنسان حياته كلها من أجلها! وهكذا نظرة تشاؤمية للدنيا لها تبعات أمنية واقتصادية وسياسية سيئة على المسلمين. فهي تحثّهم على احتقار الدنيا وعدم إقامة أي وزن لما فيها، وبالتالي لا مشكلة في خرابها طالما أن الآخرة عامرة! ولا حاجة لبذل قصارى الجهد في العمل أو في الإبداع أو العمارة أو الصناعة ونحوها، بل حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، وحسبه أن يمسي آمناً عنده قوت يومه. وهكذا نظرة تجعل المسلم أسيراً للاستبداد أيضاً، لا يأبه بمن يقوده أو يتولى زمام أمره. فغاية مُنَاهُ لقمة يسد بها جوعه وسقفاً فوق رأسه، حتى وإن تنازل في مقابلها عن حريته وحقوقه! وبهذا يحكم الإسلام على المسلم بالذل والحَقَار في الدنيا، وبالحيوانية والشهوانية في الآخرة!

##  الانتهازية

يُقسِّم المسلمون السيرة النبوية إلى فترتين: مكية و مدنية. اتسمت الفترة المكية بالدعوة السلمية، وجاء محمد خلالها بالعديد من الآيات التي تدعوا إلى السِّلم والتعايش، مثل:

- فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ الزخرف
- فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ الغاشية
- فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴿٣٥﴾ الأحقاف
- وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ يونس

ولكن الوضع تغير بعد أن انتقل محمد إلى المدينة وبدأ في تكوين قوة وجمْع

المقاتلين حوله. فجاءت آية مثل: فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ محمد. كما نزلت آية السيف التي تحدثنا عنها سابقاً، والتي نسخت جميع آيات التسامح والسلام وأوجبت نشر الإسلام بالقتال!

فكيف لإله -يدّعي الرحمة والعدل- أن يكون انتهازياً وبلا مبادئ هكذا؟! يشرّع التسامح ثم ينسخه بالعنف! كيف يسمح لعباده بمهادنة الناس والتسامح معهم وإعطائهم حرية العقيدة الدينية وقت الضعف والعجز. ثم عندما يتقوى عباده بالسلاح، يأمرهم بنبذ التسامح وإلغاء الحرية الدينية، ويشرعن لهم القتال وأخذ الجزية والغنائم والعبيد والجواري؟! هذه التشريعات تجعل المسلمين بلا مبادئ، فالسلام والتعايش وقبول الاختلاف ليست مبادئ راسخة عند الإله، بل هي ضرورة مرحلية فقط تحتمها حالة الضعف التي يعانيها المسلمون! ومتى ما استطاعوا التخلص من ضعفهم، فإن للمسلمين الإنقلاب على تلك المبادئ الكاذبة، وممارسة الغزو والسبي والاستعلاء على الأخرين وقهرهم، كما فعل محمد وشرعن له الله في القرآن!

لا يمكن أن يكون الإله العادل -على افتراض وجوده- مُخادِعاً وانتهازياً وبلا مبادئ هكذا! وهذا يجعلنا نستنتج أن الإسلام ليس إلا دين بشري، ارتسمت تشريعاته مع تطور الأحداث وبما يحقق مصالح وأطماع الجماعة المؤسسة له.

##  النرجسية ووهم التميز

ينطلق الإسلام من كونه الدين الخاتم للإله العظيم العالِم بكل شيء والخالق لكل شيء. وبالتالي فهو دين كامل تماماً، مطلق الصواب ومطلق الخير، يستحيل أن يحتوي على أي خطأ أو نقص أو عيب! وبالتالي، فمن يعتنقه فقد اصطف

في الجانب الصحيح، جانب الله الحق القوي؛ وأن من يرفضه فقد اصطف في الجانب الخطأ، جانب الشيطان الباطل الضعيف. هذا التصور الإسلامي المبالغ فيه بالكمال يزرع تلقائياً في نفس المسلم نرجسية مَرَضِيَّة، تجعله يتصور نفسه أعلى من بقية البشر، وأحق منهم في الاستفادة من خيرات ربه الموهوم. وهذا بالتالي يجعل التمييز بين المسلمين وبين غيرهم حقاً طبيعياً في نظر المسلم، لا يرى فيه أي هضم للحقوق ولا أي إساءة أخلاقية!

وفي نفس الوقت، فإن هذا التعالي والتشبّع المَرضي بالأنا يُضاعِف من ألم المسلم النفسي عندما يرى الأمم والمجتمعات «الكافرة» أكثر سعادة ورقياً وعلماً وقوة منه! وبدلاً من أن يبحث عن الأسباب الحقيقية في دينه ومنظومته الفكرية والأخلاقية التي أعاقته عن اللحاق بركب تلك الأمم على مدى قرون، فإنه ينشغل بتتبع أخطاءهم واستنقاصهم واختلاق المثالِب لهم، فقط من أجل إقناع نفسه بأنه ما يزال أفضل منهم، وبالتالي إرضاء غروره والحفاظ على زهرة النرجس يانعة بداخله!

إن ديناً من عند الإله الحق الحكيم لن يحتوي على هذه العلة الأخلاقية والعقلية. بل كان سينظر للبشر كسواسية، وكان سيجعل من أتباعه قدوة في التآخي الإنساني والتسامح بين المختلفين. فالإنسان السوي يبحث عن المحبة والسلام والتعايش. والإله الحق السوي كان سيعزز هذا التوجه بين خلقه، ولن يبذر بينهم بذور التعالي والتفرقة والتمييز بناءً على معتقداتهم فقط. فالإله العارف بطبيعة النفس البشرية كان سيعلم أن الكِبْر والتعالي على الآخرين لن يُثمِر إلا أمراضاً نفسية وأحقاد وكراهية. وسيعود هذا بالضرر على النرجسي المغرور، فيعيش في هم وشقاء إن لم يتحقق له ما يريد. كما قد يدفع هذا الشعور بأصحابه إلى صناعة الأعداء، وبالتالي إلى اقتراف جرائم تتسبب في معاناة ومآسي!

## ۞ الابتزاز العاطفي

تَحدَّثنا عن الابتزاز العاطفي الذي يمارسه الإسلام على الناس عند حديثنا عن تعطيل العقل وسلب الحرية. وقلنا أن الإسلام يمارس التهديد بالعذاب لتخويف الناس وإرغامهم على القبول به. وسنتناول هنا نوعاً آخراً من الابتزاز العاطفي، ألا وهو «المَنّ» الذي يعني: التذكير بالفضل والإحسان. فالإسلام يقول للناس: آمنوا بالله الذي تَفَضَّلَ عليكم وأَنْعَم، وإن لم تفعلوا فستكونون حينها خونة جاحدين لنعمة ربكم وناكرين لفضله!

والأمثلة على هذا الابتزاز العاطفي كثيرة في القرآن، منها:

- وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ إبراهيم.
- إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ العاديات. والمفسرون فسروا «كنود» على أنها تعني: جَاحِد.
- يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ النحل.
- أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ النمل.
- قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ الملك.
- يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ الانفطار.

ويظهر من هذه الأمثلة وغيرها أن القرآن يريد استدرار عطف الناس على الإله، ويدفعهم إلى الإيمان به من باب الاعتراف بفضله. وكأن الإله «يَتعشَّم» من البشر أن يعترفوا بفضله السابق عليهم، وأن يَرُدُّوا ذلك الفضل على شكل عبادته

والخضوع له. فإن لم يفعلوا، فإنه يريدهم حينها أن ينظروا لأنفسهم نظرة دونِّية. فغير المؤمن بحسب القرآن هو في مقام الخائن للعهد والمُنْكِر للفضل والجاحد للجميل. وبالتالي، فعلى غير المؤمن أن يشعر بالخزي والعار.

إن الإسلام هنا يحاول استغلال مشاعر الإنسان النبيلة من أجل تطويعه وإخضاعه لسيطرته. فالإنسان الخيِّر لا يريد أن يكون ناكراً للجميل، بل يريد مجازاة من يسدي له المعروف. فإن جاء الإسلام وقال له: «كل ما أنت فيه من نعمة وخير هو من عند كائن غيبي اسمه الله، وعليك الخضوع لهذا الكائن الغيبي لمجازاته على ما تفضَّل به عليك». في هذه الحالة، قد يستجيب الإنسان الخَيِّر رغبة منه في الاعتراف بفضل ذلك الإله ومجازاته على نعمائه!

وبالطبع لن يستجيب جميع الناس لهذا النوع من الابتزاز. فهم لا يعرفون هذا الإله الذي يحاول الإسلام إقناعهم به. كما أنهم لم يطلبوا منه أي فضل أو جميل أصلاً. فإن كان هذا الإله قد قام من تلقاء نفسه بخلق الناس وأعطاهم النِّعم من غير سؤال، فلماذا يُحَمِّلهم وِزْرَ قراراته؟!

ومع الذين لا ينفع معهم هذا النوع من الابتزاز العاطفي، ينتقل الإسلام إلى نوع آخر من الابتزاز وهو التهديد بالعذاب. فإن لم ينفع أيضاً، انتقل إلى العداء والإهانة وحتى القتال! فهل الإله عاجز عن تقديم أدلة عقلية على صحة دينه، فيلجأ بالتالي لهذه الأساليب والحِيَل؟ وهل الإله الذي وهب العقل للإنسان يريد أن يتخلى الإنسان عن عقله ويؤمن به بدافع الشفقة، بدافع الخوف، بدافع الشك والاحتمالات[1] بدلاً من التأكُّدِ واليقين؟

(١) نتذكر هنا «رهان باسكال» الذي يلجأ له كثير من المؤمنين بالأديان لتبرير إيمانهم.

## ۞ أخلاق محمد

ينظـر المسـلمون إلـى نبـي الإسـلام «محمـد» كقـدوة أخلاقيـة[١]، فهـو الـذي يتمثَّل بأخـلاق القـرآن في شـأنه كلـه! بل هـذا مـا يشـهد بـه القـرآن لـه: وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ القلم.

ولكننـا نجـد الكثيـر مـن المآخـذ الأخلاقيـة علـى هـذه القـدوة المزعومـة. وأول مأخـذ علـى هـذا الشـخص هـو تمييـزه لنفسـه بتشـريعات خاصـة تتعلـق بالنسـاء[٢] دونـاً عـن بقيـة المسـلمين، حيـث:

- أباح لنفسه الجمع بين أكثر من أربع زوجات.
- أباح الزواج من طليقة ابنه بالتبني، زينب بنت جحش[٣].
- سـمح لنفسـه بالـزواج مـن النسـاء مـن غيـر ولـي ولا شـهود، مثـل جويريـة بنـت الحـارث.
- أجاز عقد قرانه على ميمونة بنت الحارث وهو مُحرِم.
- شـرع للنسـاء أن يهبنـه أنفسـهن. وكان يقبـل الجميـلات منهـن، مثـل

---

(١) وقع كثير من المسلمين تحت تأثير الدعاية الدينية التي تصوّر النبي في غاية الكمال البشري. ولو أنهم قارنوا بين أخلاقهم وأخلاق محمد لوجدوا أنهم أرقى أخلاقاً منه! فمَن مِن المسلمين اليوم يرضا بإرسال سرايا للاغتيال أو لقتال الآمنين والاستيلاء على أموالهم؟ وكم منهم يرضا باغتصاب أسيرات الحروب أو بيعهن؟

(٢) يحتج المسلمون كثيراً بقصة «خديجة» ويستخدمونها كدليل على كون محمد لم يكن رجلاً شهوانياً. وهم هنا يُكذِّبون محمداً الذي قال عن نفسه: حبب إليّ من دنياكم الطيب والنساء! كما أنهم يتجاهلون مكانة خديجة وعدم قدرته على الزواج عليها. فخديجة أرادت شاباً لنفسها وخطبت محمداً الذي وافق بعدما لم يقبل تزويجه أحد. ولقد كانت تصرف عليه؛ كما أقنعته بأنه نبي.

(٣) لم يكن ثمة حاجة تشريعية لإباحة زواج ابنة الابن بالتبني. وذلك لأن محمد قد ألغى التبني أصلاً، كما لم يكن في العرب حينها رجال يريدون الزواج من زوجات أبناءهم! وبهذا نفهم أن محمداً أراد تحليل الأمر لنفسه فقط بعدما أعجبته زينب، وأراد إظهار ذلك كتشريع عام فيه تخفيف عن الناس، «لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا»!

غزية بنت جابر الدوسية، ويرفض القبيحات!

وبالإضافة للمميزات التشريعية، فقد كان له تعاملات غير أخلاقية مع النساء، ومن أمثلتها ما يلي:

- الزواج من الطفلة عائشة وهي بعمر ٦ سنوات ومعاشرتها جنسياً وهي بعمر ٩ سنوات!
- أسر صفية بنت حيي ومعاشرتها جنسياً في الطريق وهو عائد من معركة خيبر التي قتل فيها عائلتها!
- قبوله للنساء كهدايا ومعاشرتهن جنسياً، مثل ماريا القبطية.

ولم يقتصر استغلاله الجنسي للنساء عند هذا الحد، بل سمح به لصحابته. ففي سرية «أوطاس»، أسر صحابته عدداً من النساء المتزوجات. وكان من عادة العرب عدم وطء الأسيرة المتزوجة، ولكن محمد سمح لأتباعه بممارسة الجنس معهن منذ تلك الحادثة! وأنزل لهم آية تبيح ذلك وتريحهم من أي تأنيب للضمير، حيث قال: وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴿٢٤﴾ النساء.

جانب آخر من أخلاق محمد يظهر في ميله للعنف واستعباد الناس وأخذ أراضيهم وأموالهم بأوهى الأعذار. فلو نظرنا إلى أسباب غزواته، لوجدناه مثلاً كان جالساً ذات يوم إلى جانب جدار وهو في نقاش مع يهود بني النضير. وفجأة نهض وغادر بسرعة عائداً إلى المدينة! وعندما لحق به صحابته وسألوه: نهضت ولم نشعر بك! قال لهم بأن جبريل جاء وأخبره عن خطة اليهود لقتله! هكذا، من غير لا دليل ولا بيّنة! فقط جبريل الذي لا يراه غيره جاء وأخبره! ولقد صدَّقه الصحابة طبعاً، خاصة بعدما علموا أن هذه التهمة ستكون مبرراً لغزو بني النضير والاستيلاء على بيوتهم وأموالهم ومزارعهم! وتكرر اختلاق مثل هذا السبب المتهافت لغزو قبائل أخرى والاستيلاء على أملاكها.

جانب آخر من ميله للعنف يظهر في عقوبة «العُرنيين» الوحشية الذين قَتلوا الراعي وسرقوا الماشية. حيث قام محمد بِسَمْلِ أعينهم (خزقها) وقطع أيديهم وأرجلهم، ورماهم في الحَرَّة ينزفون دماً تحت لهيب الشمس دون حتى أن يسقيهم الماء، إلى أن ماتوا!

وهناك الكثير والكثير مما يمكن ذكره عن أخلاق محمد واستخدامه للوهم (الله وجبريل) في الخداع من أجل الوصول إلى غاياته، وممارسة الاغتيال السياسي، وإرسال سرايا السطو والنهب، واستئثاره بالأموال، وغير هذا. فهل هذا هو القدوة الأخلاقية التي يتخذها المسلمون لهم؟ عجباً من هذا!

* * *

# أخطاء الإسلام

يُلقِي المسلمون باللائمة دائماً في تردي أوضاعهم وتخلّف مجتمعاتهم وتدهور اقتصاداتهم على عدم تطبيقهم للإسلام كما ينبغي! ويظنون أن تطبيق الإسلام -الذي هم غير متفقين عليه أصلاً- سيحل جميع مشاكلهم ويضعهم على مسار التطور والرفاه! وهم يبنون أحلامهم هذه على مجرد دعايات سمعوها من الدعاة والوُعَّاظ وأعضاء الأحزاب والجماعات الدينية! إذ أن الواقع النظري للتشريعات الإسلامية والتجربة التاريخية يكشفان لنا عن الكثير من الأخطاء والإشكالات، والتي سوف تكون كارثية فيما لو تم تطبيقها اليوم. وفي هذا الباب سنحاول التعرف على بعض هذه الأخطاء في مجالَيّ التشريع والعلم.

##  التعقيد والصعوبة

يعاني الإسلام من التعقيد والصعوبة على صعيد الخطاب (النصوص الدينية) وعلى صعيد التشريعات العقائدية والفقهية. وهذا التعقيد يَعني حاجة الإنسان لوقت ولجهد من أجل دراسته وفهمه والتأكد من كونه الدين الصحيح. فالمفترض بالإنسان العاقل التأكد من كون الدين الذي يعتنقه هو دين صحيح بلا أخطاء! ولأن أغلب البشر لا يملكون الوقت والجهد والرغبة اللازمة للقيام بذلك، فإن هذا سيؤدي لإيمان أغلب البشر بالتلقين أو بدافع العادة أو المصلحة فقط.

من جانب آخر، فإن صعوبة الدين ستؤدي لوجود «رجال دين» متخصصين في الدين ودراسته وحل مشكلاته وتناقضاته ومواءمته مع المستجدات، وسيكون هؤلاء المرجع لبقية الناس. ولكون رجال الدين من البشر، فإن هذا سيفتح الباب أمامهم لاستغلال مكانتهم واتّباع الناس لهم من أجل تحقيق أطماعهم

ومصالحهم الخاصة، مما قد يعود على بقية الناس بالضرر. ومن جهة أخرى، فإن وجود رجال الدين يجعل ثمة واسطة بين العبد وربه، وهذا ما يقول الإسلام أنه يحاربه، ولكنه في الواقع يطبّقه!

كما ينتج عن التعقيد اختلافات وتباينات على فهم الدين وتطبيقه، مما يؤدي إلى العداء والتناحر بين المسلمين كما هو مشاهد ومعروف. وهذا يعني أن تعقيد الدين هو عيب خطير تسبب ولايزال يتسبب في اضطراب المجتمعات الإسلامية وتضعضعها.

##  النقص التشريعي

لم يكتفِ الإسلام بوضع مبادئ كُليّة عامة تتيح للناس سَنّ تشريعاتهم بِحُريّة، بل جاء بتشريعات تفصيلية كثيرة في القرآن والسنة. وعلى الرغم من زعم القرآن بأن الدين قد اكتمل في قوله: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿٣﴾ المائدة، إلا أن هذا الدين يعاني من نقص تشريعي واضح. فليس هو بالدين الذي اكتفى بالكليات والعموميات، وليس هو بالذي قدَّم تشريعات كاملة عندما دخل في التفاصيل! بل ترك الأمر في كثير من جوانبه في حالة بينيَّة! وتزداد المشكلة عمقاً إذا ما علمنا أن هذا الدين يطرح نفسه كدين خاتَم يستمر مع البشرية إلى نهاية الوجود، وبالتالي سيكون مُلزَماً بتوفير التشريعات الملائمة طوال التاريخ!

إن الناظر في تاريخ الإسلام وواقعه، يجده محتاجاً على الدوام للإتمام والتكميل عبر الاجتهاد واستحداث تشريعات لم تكن منه أصلاً. ومثال ذلك ما تم في عهد عمر بن الخطاب من إكمال التشريعات الخاصة بالمواريث (الفرائض). وما استحدثه فقهاء المذاهب من تشريعات تفصيلية للأحكام الفقهية المتعددة،

فيما يتعلق مثلاً بشؤون الأحوال الشخصية وحقوق الأطفال أو المعاملات المالية والتجارية أو الأنظمة السياسية. ولم يقف نقص التشريعات على الفقه، بل شمل النواحي العقائدية والفلسفية المتعلقة بإثبات ضرورة وجود الخالق والإيمان بالقضاء والقدر وبالغيبيات وغيرها، حيث يستعين المسلمون على الدوام بما عند أصحاب الديانات والفلسفات الأخرى للبرهنة على معتقداتهم وما يؤمنون به من غيبيات مثل حاجة الأخلاق والتشريعات للمصدر الديني.

ولقد أدى كل هذا النقص إلى ظهور الفرق والمذاهب في الإسلام، وبالتالي إلى نشوب اختلافات وخلافات لا حصر لها بين المسلمين! وذلك لأن كل طرف منهم يضع تشريعاً ثم ينسبه للدين. ثم يعادي مخالفيه لأنهم يخالفون الدين!

لو أن الإسلام اكتفى بترسية المبادئ الأخلاقية العامة التي ترتكز عليها غالبية تعاملات البشر، ولم يدخل في معمعة التفاصيل وتَرَكَ ذلك للناس، لكان حق التشريع متاح للجميع كما هو معمول به عند أمم كثيرة اليوم. ولَوَفّر الإسلام على المسلمين الكثير من الحروب والدماء والعداوات.

##  الجهاد

من أبرز أخطاء الإسلام التشريعية تشريع العدوان المسلَّح على الآخرين تحت مسمى «جهاد الطلب». ولو حاولنا فهم هذا التشريع وفق ادعاءات الإسلام، فإننا سنجد صعوبة في فهم دوافع الإله في الطلب من خلقه المؤمنين قتال خلقه الكافرين! هل هذا الإله عاجز عن إقناع البشر بالحجة والبرهان؟ أَم هو يستعجل دخولهم في دينه ولا يريد انتظارهم حتى يقتنعوا من تلقاء أنفسهم؟ وإن كان مستعجلاً، فلماذا انتظر لعشرات الآلاف من السنين منذ بدء الخليقة ولم

يرسل محمداً إلا قبل ١٤ قرناً فقط وسط صحراء نائية؟!

وإن لم يكن الإله عاجزاً ولا مستعجلاً، فلماذا يريد إثارة العداوات بين خلقه؟ هل جرّب الإله جميع طرق الدعوة مع الأنبياء السابقين، بما فيها المعجزات ولم تفلح، ثم لم يجد وسيلة لفرض دينه إلا بالقوة؟ وهل هو عاجز عن فرض دينه بالقوة من تلقاء نفسه حتى يستخدم خلقه المؤمنين لهذه المهمة؟!

إن العقل والضمير يرفضان التصديق بأن إلهاً حكيماً سيلجأ للقوة من أجل فرض دينه على خلقه! كما يرفضان تصديق نبي يدّعي الرحمة بالإنسان ثم يلجأ لسفك دم ذلك الإنسان والاستيلاء على نساءه وأولاده وأمواله بحجة أن الله قد أباح له السبي والرق والغنائم والجزية!

قد يحاجج بعض المسلمين الاعتذاريين ويقولون: الإسلام لم يُجِزْ جهاد الطلب بل شرع الجهاد للدفاع عن الأوطان فقط (جهد الدفع). وأسأل هؤلاء: هل ثمة حاجة لتشريع «إلهي» مثل هذا أصلاً؟! فالناس من قبل الإسلام ومن بعده مجبولون على الدفاع عن أنفسهم وأهلهم وأموالهم وأوطانهم، وعليه فلا يحتاج الأمر لتشريع أصلاً! والتشريع الإلهي في هذه المسألة سيطيل أمد النزاعات بين البشر، لأن المسلمين سيعتقدون دوماً أنهم مُؤَيَّدُون بالقوة الإلهية!

لقد كان من الأجدر بالإله الحكيم -على افتراض وجوده- أن يعمل على الإصلاح بين البشر والتوفيق بينهم وحثهم على السلام ونبذ العنف والقتال. لا أن يبعث رسوله بآخر كتاب للبشرية وهو مليء بآيات تحث على الكراهية والعداء والقتال والجهاد ونبذ الصلح والسلام وما إلى ذلك من تحريض وتأجيج للصراعات بين الناس.

## التكفير

عيب تشريعي آخر في الإسلام نستعرضه هنا وهو «التكفير»، والذي قد يكون من أكبر العيوب التي تبرهن على محدودية أفق تشريعات الإسلام وعلى أصله البشري. فبينما يضر الجهاد بالعلاقات الخارجية بين الأمم، نجد أن الحكم بالكفر أو الزندقة أو الضلال أو ما شابه يؤدي إلى الإضرار بالمجتمعات الإسلامية من الداخل. فالتكفير يحد من حرية الناس ويعيق تعايشهم وتآلفهم ويؤجج الكراهية والعداوة بينهم.

إننا نجد القرآن والسنة والفقهاء يُشرِّعون التكفير ويطلقونه على فئات كثيرة من الناس. ونتيجة لهذا التشريع، فإن المسلم يريد من غيره أن يكون نسخة عنه، بتطابق تام أو بأقل قدر من الفروقات. أي أن الاختلافات مرفوضة، ولو حدثت فيجب أن تكون محدودة، فإن تجاوزت حداً معيناً، بدأ المسلم في تكفير مُخَالِفِهِ وفق ما لديه من نصوص وفتاوى! وهذا يعني أن المسلم لا يؤمن بحق غيره في امتلاك رأيه وقناعاته الخاصة، بل يريد من غيره تَبَنِّي عقائده وآراءه. وهذا يعارض الطبيعة البشرية ويخالف سمات المجتمعات السويّة.

المشكلة الأكبر في التكفير ليست الوصاية الفكرية ومحاولة إلزام الآخرين بآراء محددة، وإنما فيما يتبع التكفير من عداوة وكراهية وتحريض وقتل أو قتال. وبسبب التكفير انتشرت الكراهية بين المذاهب والطوائف الإسلامية، وبسبب تبعات التكفير عاشت المجتمعات والدول الإسلامية قلاقل وحروب وأوضاعاً متضعضعة طوال تاريخها.

ولقد حاول المسلمون مؤخراً تلافي هذا العيب التشريعي الخطير في دينهم بعدما اكتووا بناره. فأقاموا الحملات لمنع الناس من تكفير بعضهم البعض، وقالوا أن الفرد لا يملك صلاحية تكفير «المُعَيَّن» بل يعود ذلك إلى القاضي فقط! ومن الأمثلة على شدة تضررهم من هذا التشريع ومحاولة إبعاد الناس عن ممارسته

أني سمعت شيخاً في مسجد «الملك سعود» في جدة يفتي بعدم جواز تكفير الشخص الكافر والمشرك، كالمسيحي، بحجة أنه قد يكون مؤمناً يخفي إيمانه كمؤمن آل فرعون!

ومع كل الضرر الذي ألحقه التكفير بالمسلمين، فإنهم لم يتجرؤوا على المساس بقدسية نصوص القرآن والسنة، وهي منبع تشريعات التكفير، ولم يحذفوا أحكام التكفير منها.

إن الإله الرحيم الحكيم -على افتراض وجوده- ما كان لِيُشرعِن التكفير ويُفرِّق بين خلقه ويثير الكراهية والعداوات بينهم ويمزق مجتمعاتهم. بل إن ذلك الإله كان سيحرص على استتباب الأمن وحفظ الحقوق وشيوع التآخي والتآلف بين خلقه. فلقد منح هذا الإله الحرية والعقل لجميع خلقه، وتكفيرهم بسبب ممارستهم لحرياتهم واستخدامهم لعقولهم يعني معاقبتهم على ما منحه لهم!

##  الحدود والعقوبات

يُشرِّع الإسلام أحكاماً جائرة لعقوبة المذنبين، مثل القتل والتعذيب وبتر الأطراف والجلد والرجم والصلب. وفي ذات الوقت، لا يتنازل الإسلام عن هذه التشريعات الهمجية والدموية ويضفي عليها سمة القداسة والأبدية. كما يُكفِّر كل من ينتقدها وينادي بإيقافها(١).

إن الإسلام يجعل هذا التوحش هو الضمانة لسلامة وأمن المجتمعات. ولكننا نرى اليوم كثيراً من المجتمعات الإنسانية في الشرق والغرب آمنة ومستقرة دون تطبيق هذه الأحكام الهمجية، بل إن بعض الدول الأوروبية قد أغلَقَت عدداً

(١) لا يمكن دحض هذا بالاستشهاد بتعليق عمر بن الخطاب لحد القطع عام الرمادة. فالتعليق المؤقت للحد لا يعني الاعتراف بعدم شرعيته ولا يتساوى مع المطالبة بتجريمه وعدم تطبيقه مطلقاً.

من السجون لقلة المجرمين والمحكوم عليهم[1]! فهذه الدول قد وصلت لمرحلة متقدمة من الأمن دون الحاجة لأحكام متوحشة وهمجية كالأحكام الإسلامية، وانما استفادت من تجاربها السابقة وطوّرت من قوانينها وأحكامها مستعينة بعلوم النفس والاجتماع لتحقيق ذلك. وهذا يُعرِّي الإسلام ويكشف خطأه التشريعي وفشله التاريخي، ويبيّن زيف الادعاء بأنه الدين الأفضل للبشرية.

##  المَحَلِّيَّة

يزعم الإسلام أنه جاء للبشر -والجن!- أجمعين. ولكننا نجده قد جاء بلغة العرب حصراً، كما جعل كثيراً من عادات العرب في زمانه تشريعات تُفرَض وتُعمَّم على جميع البشر في كل الأماكن والأزمنة دون أدنى مراعاة لاختلاف البيئات والعادات والتقاليد والثقافات! فمثلاً: الصوم من الفجر إلى المغرب؛ والدية مئة بعير؛ والسواك سُنّة. في حين: أن هناك بلدان لا تغيب عنها الشمس، أو تغيب لساعات قليلة خلال اليوم؛ وأن الجِمَال غير موجودة في كل مكان؛ وأن أغلب البشر لا يعرفون شجر الأراك (مصدر السواك)!

ولقد تمادى الإسلام وفرض على الناس الحج إلى مكة أيضاً، في حين أن التوجه إلى مكة كان طقساً للعرب وله أسباب تاريخية وسياسية واقتصادية خاصة.

ومع كل هذه السمات المحلية في الإسلام، يدّعي المسلمون أن جميع البشر جاءهم رُسُلٌ من عند الله، وأن ديانات أولئك الرسل هي الإسلام، فقط مع اختلاف في التشريعات الفقهية التفصيلية! والسؤال هنا هو: إن كان الحال كذلك فلماذا لا نجد أثراً لأركان الإسلام وتشريعاته الأساسية في الحضارات الأخرى

(١) راجع هذا الرابط مثلاً عن إغلاق السويد لعدد من السجون بعد تراجع عدد المساجين، وهذا الرابط أيضاً عن إغلاق هولندا ١٩ سجناً لذات السبب. بعض السجون المغلقة تحولت إلى فنادق ومطاعم ومتاحف!

البعيدة؟! لماذا لا يوجد أثر للصلاة أو للحج إلى مكة في ثقافات الصين وأمريكا الجنوبية مثلاً؟! خاصة وأن الإسلام يقول أن الكعبة هي أول بيت وضِعَ للناس جميعاً! وعليه، فلو أن إله الإسلام قد بعث رُسُلاً لجميع البشر حقاً، وأن هؤلاء الرسل جاؤوا بذات الدين، لوجدنا قواسم مادية مشتركة كثيرة بين الحضارات تدل على الأصل الواحد. ولكننا لا نجد شيء من هذا في أرض الواقع. بل إن الإسلام منعزل ومختلف عن الحضارات البشرية البعيدة عنه.

إن محاولة تعميم عادات وتقاليد مجموعة من الناس في فترة تاريخية محددة، وإلزام البشر جميعاً بها طوال تاريخهم ليس سوى محاولة ساذجة بشكل يصعب تصوره! ويستحيل أن يقفز الإله الخالق لكل شيء -زعماً- على تاريخ الشعوب ومواقعهم الجغرافية واختلاف لغاتهم وبيئاتهم ومواقيتهم، وأن يفرض عليهم جميعاً طقوس وأعراف مجموعة من العرب عاشت في بداية القرن السابع الميلادي!

##  معاداة الفنون

ربما أن الإنسان قد عبّر عن ذاته بواسطة الفنون قبل قدرته على التعبير عنها بواسطة الكلام! فالنقوش على جدران الكهوف القديمة تَشَي بلجوء الإنسان الأول إلى الرسم والرقص لمشاركة أفكاره ومشاعره مع أقرانه، ولتمرير معارفه وتجاربه إلى أبناءه. إن التعبير بالفنون كالموسيقى والرسم والنحت والتمثيل كان دائماً رديف النطق عند الإنسان، بل كان ومازال الوسيلة الأكثر رقياً في التعبير عمّا يختلج في نفسه أو يؤكد به تفوقه. ولن أُسهِبَ في التأكيد على أهمية الفنون عند الإنسان وفي تاريخ حضارته، فهذا من نافلة القول ومما هو معلوم بالبديهة.

ومع هذه المكانة الرفيعة والمنزلة العالية للفنون، نجد الإسلام قد ناصبها العداء وحرَّم كثير منها على أتباعه! فطوائف كثيرة من السنة والشيعة جَرَّموا الموسيقى وعادَوا ألحانها! وجعلوا آلاتها بمثابة أسلحة بيد رمز الشر المستطير، الشيطان!

بل إن بعضهم تطرَّف في معاداة كل صوت جميل لإنسان -رجل أو امرأة- يشدو ويطرب ولو من غير موسيقى[1]!

أما التصوير والنحت، فللإسلام معهما أمر عجب! فهو لا يرى في الصور أي جمال، بل يراها عملاً مستفزاً يريد راسمها تحدي الله ومضاهاة ما يخلق! فأي نفس امتلكها نبي الإسلام حينما نظر إلى الصور ولم يرَ فيها أي مهارة راقية أو بوح عذب أو رسالة سامية، بل رأى فيها تحدياً صارخاً لكائن وهمي لا يوجد سوى في مخيلته! وكذلك الحال مع المنحوتات والتماثيل. فهي في نظر الإسلام ليست تخليداً لذكرى أو رمزاً لإنجاز، بل شياطين منتصبة تشارك الله الموهوم في استعباد البشر! ولذلك قام بمعاداتها وأمرَ بتحطيمها، في تشريع همجي لا يحمل أي مثقال من تقدير للإنسان وتاريخه وإنجازاته.

وتكررت نظرة الإسلام المريضة للفنون ومعاداته لها مع التمثيل. فلم يرَ الإسلام في الممثلين فنانين يمتلكون موهبة تقمّص الشخصيات والتعبير عن الإنسان بكافة أحواله، بل رآهم كمجموعة من المخادعين الذين يمتهنون الكذب لكسب أرزاقهم ولإشاعة الفاحشة! ولذلك فلقد أسقط الإسلام عدالة الممثلين واتهمهم في أمانتهم ولم يقبل شهادتهم في المحاكم! ونتيجة لمعاداة التمثيل، فلقد تخلف المسلمون في مجال أدب القصة والرواية والمسرح لفترات طويلة من تاريخهم.

إن معاداة الإسلام للفن واستمراءه للقبح أسهم في تجهيل المجتمعات الإسلامية وسد آفاق التعبير أمامها. ولقد كان لهذا تبعات نفسية واقتصادية وحضارية على تلك المجتمعات. فشعر الناس فيها بالملل والضجر نتيجة خلو مجتمعاتهم من الجَمَال ومن وسائل الترفيه والمتعة. كما شعروا فيها بالاختناق والحصار نتيجة لعدم وجود قنوات يُعبِّرون من خلالها عن معاناتهم وتطلعاتهم. كما تخلفت

(١) هناك من فقهاء السلفية من حرَّم الأناشيد الإسلامية!

المجتمعات الإسلامية عن غيرها في مجالات الموسيقى والأزياء والرسم والسينما وغيرها الكثير.

ومع الضرر الحضاري لمعاداة الفنون، فلقد لحق بالمجتمعات المسلمة أضرار اقتصادية أيضاً نتيجة انعدام صناعة الترفيه فيها، وهي صناعة ذات مردود اقتصادي عالي كما هو معلوم.

وبالنظر إلى كل هذا، فإنه يبدو بجلاء مدى جناية الإسلام على الإنسان وعلى المجتمع وعلى الحضارة حينما عادى الكثير من الفنون وحرَّمها. فهو قد خالف أحد ثوابت الإنسان وركن ركين من تكوينه النفسي والعقلي. والدين الذي يقترف جرماً بهذه الفظاعة هو حتماً ويقيناً ليس من عند إله عادل وحكيم!

##  منع التبنِّي

يعود تبني الأطفال على المجتمعات بفوائد كثيرة. فهو يلبي حاجات نفسية هامة للآباء وللأبناء بالتبني، حيث يشبع غريزة الأمومة أو الأبوة كما يمنح الطفل اليتيم أو المنبوذ فرصة الانتماء إلى عائلة. وهو يُسهم أيضاً في تحسين الأمن بالحد من ظاهرة أطفال الشوارع مثلاً ويضمن لهم تربية قويمة ويبعدهم عن عالم الجريمة. ولن أطيل في فوائد التبني فهي ظاهرة لكل متأمل فيها ومطلِّع عليها.

مشكلة الإسلام أنه حَرَّمَ التبني وحَرَمَ المجتمعات من فوائده بسبب نزوة لمحمد! ولقد اجتهد علماء الإسلام في ترقيع هذه الفضيحة التشريعية، فقالوا أن الإسلام حرّم التبني منعاً لاختلاط الأنساب! فلو نظرنا لبعض تشريعات الإسلام الأخرى لوجدناها لا تحفظ الأنساب صراحةً، فالإسلام يقول مثلاً: الابن للفراش وللعاهر الحجر! فكيف لا يتسبب ابن الزنا في اختلاط الأنساب بينما يتسبب ابن التبني في ذلك؟!

يستمر المسلمون بالدفاع عن دينهم -وهذا حق لهم بالطبع- ويقولون: «الإسلام حرّم التبني وحثّ على كفالة اليتيم». ولكن كفالة اليتيم ليست كالتبني! فاليتيم لا ينتمي للعائلة التي تكفله، بل يعيش معهم كغريب ولا يشعر بالانتماء لهم. كما يتم التخلي عنه عند بلوغه، ويصبح بعد ذلك غريباً حتى عن أمه التي ربته وأخواته اللاتي عاش معهن، وعليه أن ينفصل عنهن تماماً ما لم تكن له بهن صلة رضاعة. كما أنه لا يرث شيئاً ممن ربّوه، وعليه أن يقبل صدقة منهم إن أرادوا منحه شيئاً فقط.

إن شعور اليتيم المكفول بالعزلة بعد بلوغه وإحساسه بالخديعة والظلم يعود عليه بالألم. وقد يحاول الانتقام من العائلة التي ربته حتى، وقد سمعتُ قصصاً في هذا الشأن. حتى أن المجتمع أصبح يعيب اليتيم ويعايره بـ «قليل الأصل» أو «ابن الحرام» ويتوقع منه الأذى، دونما إدراك بالمشاكل النفسية والمعاناة التي تدفعه لإساءة التصرف.

هذا، وإن الإسلام بتحريمه التبني يتدنى بالعلاقات الإنسانية إلى مرتبة الحيوانية، فيجعل البُنوّة علاقة بيولوجية فقط، وليست علاقة راقية تنمو فيها علاقات الأبوة والأمومة الإنسانية، وترتبط بسببها مشاعر وطباع وذكريات العائلة الواحدة. وهذا خطأ تشريعي ما كان سيقع فيه خالق الإنسان والعالم بحاله كما يدّعي المسلمون!

##  الاستبداد

الاستبداد في اللغة كما عرّفه الكواكبي[1] هو: «الاستقلال في الرّأي وفي الحقوق المشتركة». يعلم الجميع مدى سوء الاستبداد أياً كان نوعه. والإسلام يرسّخ الاستبداد في كثير من جوانبه. فهو يشرعن الاستبداد **على المستوى الفردي** بإباحته للرق. ويشرعن **الاستبداد الأسري** من خلال:

(١) انظر مقدمة كتابه: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد.

- تمتع الزوج بحقوق تفوق حقوق الزوجة، مع منحه سلطة الطلاق دونما مبررات.
- منح الرجل سلطة الولاية على المرأة، سواء كانت زوجة أو بنتاً أو أختاً أو حتى أُماً أو غير هذا.
- إخضاع الأبناء لتحكّم آباءهم شبه المطلق وذلك باسم «البِّر» المبالَغ فيه. حيث يحدد الآباء علاقات أبناءهم ويُنَمِطُّون لهم أفكارهم ويخوِّفنهم بالله من عصيانهم ومخالفة أوامرهم. وقد يتجاوز الأمر إلى تحديد الآباء للتخصصات الدراسية لأبناءهم واختيار أزواجهم وزوجاتهم وأماكن إقامتهم وطبيعة عملهم. كما يجيز الإسلام استيلاء الأب على مال أبنائه، بل وعدم معاقبته فيما لو قتل أحدهم!

هذا ويَفرِض الإسلام أيضاً نوعاً من **الاستبداد المجتمعي**، فيحدد أُطُراً تتعلق بالشأن الشخصي، كاللباس أو الطعام والشراب، ثم يمنع الناس مِن تجاوزها. ومَن يتجاوزها، فإن الإسلام يمنح الآخرين الحق في الإنكار عليه باسم «الحِسبة» والتي تُعرَف أيضاً باسم شعيرة «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». وهذا الإنكار قد يصل لحد المنع بالقوة. وقد يكون على شكل أذى نفسي يتمثل في النيل من سمعة الإنسان أو مكانته الاجتماعية أو التنمّر عليه ونحو هذا. ولتحاشي هذا الضرر، يلجأ كثيرون في المجتمعات الإسلامية إلى النفاق وإلى الالتزام بأقوال وعادات وسلوكيات معينة تخالف قناعاتهم ورغباتهم الحقيقة. ولكنهم يُرغِمون أنفسهم على الالتزام بها ظاهرياً لخوفهم من المجتمع. ولهذا الاستبداد المجتمعي آثار سلبية على الصحة النفسية لكثير من الناس، فنجدهم في خوف وقلق دائمين

مع شعور مستمر بالتذمر والغضب[1]. ونتيجة لهذا الضغط المستمر، فقد يفقد الناس الشعور بالانتماء الكامل لمجتمعاتهم أو لبلدانهم.

وتزداد بشاعة الاستبداد في الإسلام إذا انتقلنا إلى الصعيد العام ونظرنا في **استبداده السياسي**[2]. فالله في الإسلام هو الحاكم المطلق، يقول القرآن: وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴿٤١﴾ الرعد. ولأن الله ليس له حضور في الدنيا، فإن الرسول هو الحاكم باسمه. وبعد وفاة الرسول، يكون خليفة الرسول هو الحاكم باسم الله، يقول القرآن: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴿٥٩﴾ النساء.

إذاً، فالحاكم الإسلامي يستمد شرعيته من الله ذاته! وبالتالي يكون له سلطات شبه مطلقة. كما ويتمتع بنوع من القدسية توجب له نوعاً مبالغاً فيه من الاحترام والتقدير! ونتيجة لهذه المكانة العالية التي جعلها الإسلام للحاكم، فإنه يقوم بحمايته من الناس. فيمنعهم من انتقاده أو حتى تقديم النصيحة له بشكل علني، لأن في هذا انتقاص من مكانته السامية وإثارة للفتنة عليه! كما يأمر الناس بالصبر عليه والقبول بحكمه وإن كان فاسقاً ظالماً. بل ويأمرهم بالدعاء له علَّ الله أن يهديه ويصلحه! يقول محمد نبي الإسلام: من كَرِهَ من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية؛ رواه البخاري.

وفي ذات الوقت، يمنح الإسلام الحق للحاكم في قمع أي حِراك سلمي يقوم به الشعب للمطالبة بحقوقه المهدورة أو للتظلم من قوانين جائرة أو ممارسات تعسفية، ويعطيه تصريحاً بقتل كل من يتجرأ على التشكيك في شرعيته أو يريد

(١) ربما يستشهد المسلم هنا بقول القرآن: وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ! وهذا لا يعدو عن كونه هروباً من المسؤولية وإلقاءً اللوم على الضحية.

(٢) الاستبداد السياسي وفق الكواكبي هو: تَصَرُّف فرد أو جمع في حقوق قوم بالمشيئة وبلا خوف تبعة.

استبداله، كما لا يدع أي مجال للحوار أو الاختيار الشعبي، حيث يقول محمد: من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه؛ رواه مسلم.

والإسلام فقير في التشريعات السياسية التنظيمية. فهو لا يحتوي على آليات محددة لاختيار الحُكّام أو مراقبتهم أو مساءلتهم وعزلهم مثلاً. كما ويمنع الناسَ من تنظيم أنفسهم والأخذ بأساليب باتت بديهية في كثير من المجتمعات اليوم. فالديمقراطية[١] حرام لأنها تمنح حق التشريع للناس، وهذا يتنافى مع كون التشريع حق حصري لله! والأحزاب حرام لأنها من الفُرْقَةِ التي تتنافى مع الاعتصام بحبل الله! والحرية الدينية حرام لأنها كفر ورِدّة عن الإسلام تستوجب القتل! والمظاهرات حرام لأنها خروج على الحاكم وتؤدي إلى الفتنة وإزهاق الأنفس وإتلاف الممتلكات. ويستمر مسلسل الاستبداد وهضم حقوق الناس في الإسلام على هذا النحو!

إن لون الاستبداد في الإسلام فاقع جداً! وأراه أكبر عيب فيه. وهو المسؤول بشكل رئيسي عن هضم حقوق المسلمين كأفراد وأسر ومجتمعات، وعن تردي أحوال أوطانهم بين الأمم. ومن المؤسف فعلاً أن يؤمن المسلمون بهذا الدين الذي فرض عليهم هذا الاستبداد وهذا الذل، وبل وينتظرون عنده العزة والنصر[٢]!

(١) طبعاً سعى كثير من المسلمين -وكالعادة- لإصلاح أخطاء الإسلام التشريعية هنا، فادّعوا أن الديمقراطية والأحزاب مثلاً لا تتنافى مع الإسلام، بل هي من الإسلام! ولا أدري أي كانت تختبئ ديموقراطية الإسلام المزعومة هذه طيلة ١٤٠٠ سنة!

(٢) لا أقصد هنا «العزة والنصر» كما يفهمها المسلمون، أي القيام بالجهاد والفتح والسيطرة. بل أقصد الحرية للناس والتوزيع العادل للثروات ومنح حقوق المواطنة الكاملة وإزالة التمييز الديني والطائفي ونحو هذا.

## ۞ التقويم الهجري

لا يمكن تصوّر الحياة على هذه الأرض من غير الشمس. فهذا النجم الذي يتوسط مجموعتنا الفلكية يضطلع بأعظم دور منظِّم للحياة على كوكبنا. فبسبب دوران الأرض حول الشمس تتغير حرارتها، ومع تغير حرارتها تتغير فصولها وما يصحب ذلك من عوامل مناخية كالمطر والرياح. وتبعاً لهذا يتغير كل شيء تقريباً على ظهرها، فتنشط كائنات وتسبت أخرى، تتوالد حيوانات وتهاجر أخرى، تنمو نباتات وتذبل أخرى.

لقد أدرك الإنسان ارتباط التغيرات المناخية على الأرض بالشمس منذ القِدم، مما جعل مصيره -أي الإنسان- يرتبط بالشمس أيضاً. ولذلك كان لزاماً عليه أن يعرف دورتها حتى يستطيع تنظيم أمور معيشته من أجل ضمان أفضل بقاء له. فمعرفته بدورة الشمس يعني معرفته بدورة حياة الحيوانات والطيور ومتى وأين يصيد. وبعد أن استقر وامتهن الزراعة، أصبح لزاماً على الإنسان معرفة دورة حياة النباتات ومتى وماذا يزرع ويخزن. وبعدما ترقَّى الإنسان في الحضارة قليلاً وأصبح بمقدوره السفر على اليابسة والبحر، غدا من اللازم عليه معرفة متى يستقر الطقس وتصبح الدروب سالكة لقوافله وسفنه. كما أصبح لزاماً عليه معرفة وجهات سفره وما يتوفر في كل جهة خلال المواسم والفصول المختلفة.

ويستمر ترقي الإنسان في الحضارة وتنمو متطلباته وتكثر حاجته لتنظيمها ما بين تعليم وصحة وتجارة وسفر وغير ذلك الكثير. وفي كل درجة يرتقيها الإنسان في سلم الحضارة، يشتد ارتباطه بالشمس وبنظامها الرتيب والتغييرات التي تُحدِثها وتؤثِّر بها على حياته.

ومن هذا الارتباط الوثيق بالشمس، انشغل الإنسان منذ القِدَم بدراستها، وسعى لوضع معيار لقياس مسيرتها. فنشأت عنده فكرة «التقويم» الذي ينبئه بتعاقب الفصول وتكرار التغيرات. ولأن الإنسان لم يفهم تماماً دورة الشمس أول مرة، فلقد

سعى لربط ترددها وتكرار فصولها بظاهرة طبيعية يمكنه رؤيتها وقياسها بسهولة. فكان أقرب شيء يقيس به دورة الشمس هو القمر. فلاحظ الإنسان أن القمر يظهر ويختفي ١٢ مرة **تقريباً** خلال دورة الشمس الواحدة. ولكن هذا التقريب لم يكن كافياً، فالإنسان بحاجة لمعرفة دورة الشمس وفصولها بدقة معقولة. وبعد قياس وطول متابعة، عرف الناس أن الشمس وفصولها تتعاقب كل ١٢ شهر قمري و١١ يوم تقريباً. ومن هذه المعرفة الأساسية، ابتكر الإنسان مفهومي: الشهر والسنة. ووضعت الحضارات القديمة تقاويمها لحساب الأشهر والسنين لمعرفة دورات الشمس وتعاقب الفصول، فعل ذلك العرب القدماء، واليهود العبريون، والأقباط، والهنود، والصينيون، وغيرهم. جميعهم قسموا السنة الشمسية إلى ١٢ شهر قمري، واختلفوا في طريقة حساب الأحد عشر يوماً المتبقية، كما اختلفوا في دقة حساب ذلك. فبعضهم أضاف شهراً قمرياً (شهر رقم ١٣) كل ثلاث سنوات. وبعضهم أضاف شهراً كل سبع سنوات، وغير ذلك.

لقد كانت السنة التي يزيد فيها عدد الأشهر عن اثني عشر شهراً تُسمى سنة «كبيسة»، وكان الشهر الثالث عشر الزائد يسمى «النسيء».

استمر البشر على هذه التقاويم القمرية وتعديلها بأشهر النسيء لضبط الحساب. وانتظمت شؤونهم ومعايشهم من صيد وزراعة وسفر ونحو ذلك. ولكن أمة العرب (ومن تبعهم) اختلطت أمورهم وتشتت أوقاتهم منذ اليوم الذي تلا عليهم محمد قوله: إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ التوبة!

لقد ظن محمد أن شهر النسيء ما هو إلا تلاعب يمارسه «الكفار» ليعتدوا

على تشريعات إلهه الموهوم. فحذف هذا الشهر من التقويم العربي القمري، من غير أن يفهم سبب وجوده الفعلي والحاجة إليه! فارتكب بذلك خطأً فادحاً في حساب الأعوام، وكَسَرَ إرثاً حضارياً وتجربة إنسانية ممتدة لآلاف السنين قبله! والآثار السيئة لهذا واضحة حتى اليوم، فالتقويم الهجري المزعوم لا يفيد في الزراعة أو الصيد، كما لا يمكنه حتى تسيير مكتب سفريات متواضع على قارعة أي طريق مثلاً، فما بالك بما هو أعظم وأهم! ولذا تخلى عنه جلّ المسلمون عملياً وحصروا استخدامه على الطقوس الدينية فقط.

وعليه، فإن هذا التشريع الديني المتسرّع بحذف شهر النسيء من السنة القمرية والعبث بالتقويم لهو دليل دامغ على بشرية دين الإسلام وعدم ارتباطه بأي آلهة عليمة وحكيمة.

##  الأخطاء العلمية

يحظى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بزخم وباهتمام شديدين عند كثير من المسلمين اليوم. فهم يرون فيه الحصن الذي يتمترسون خلفه وطوق النجاة الذي يتشبثون به في معركتهم الخالدة للدفاع عن دينهم، وذلك بعدما فشلت جميع أسلحتهم السابقة، وبان فشل الإسلام على المستوى الاجتماعي والأمني والاقتصادي والسياسي!

إن الناظر في نصوص الإسلام المقدسة، التي يزعم المسلمون احتواءها إعجازاً علمياً، ليصاب بالدهشة من اختصارها الشديد وعمومية ألفاظها وعدم انضباطها بشكل محدد وواضح. وعندما نقارنها بالعلوم الحديثة اليوم، فإننا نلحظ مباشرةً مدى سطحية تلك النصوص وخلوها من أي تفاصيل. ونتيجة لهذا، فلم تؤدِ تلك النصوص العلمية المزعومة إلى أي كشف علمي جديد طوال تاريخها، ولم تنتفع البشرية منها مطلقاً. فَلَمْ تؤدِّ مثلاً إلى كشف علمي أو اختراع يُسهّل حياة

الناس أو إلى دواء يستشفي به البشر[1]. لقد اقتصر دور مدَّعي الإعجاز العلمي على التطفُّل على العلوم، ومحاولة نسبة كل كشف أو اختراع إلى دينهم. وعملهم هذا ليس من أجل الإسهام في تطور العلم أو لنشره بين الناس، وإنما هو ضمن حملة دعاية دينية (بروباغندا) من أجل أن يستمر الوهم ويبقى الناس أُسارى له!

لقد كَتَب علماء كُثر، مسلمون[2] وغير مسلمين، عن زيف ادعاءات الإعجاز العلمي في الإسلام. وأثبتوا أن ما جاء به الإسلام في هذا المجال لا يتعدى حدود معارف عصره، وأنه مسبوق في كتابات وثقافات قديمة. ومع هذا، فلا مانع من الإشارة فيما يلي إلى بعض الإعجاز العلمي المزعوم وبيان خطأه ومناقضته للعلوم الحديثة.

من أبرز أخطاء الإسلام العلمية تصويره المبسط للكون واتفاقه مع المعرفة الشائعة قديماً في هذا المجال. فهو مثلاً يُصوّر السماء كالتالي:

- قُبَّة مرفوعة فوق الأرض بأعمدة غير مرئية: اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴿٢﴾ الرعد
- هذه القبة مكونة من سبع سماوات: أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ نوح
- السماء الدنيا عبارة عن سقف مُصمَت: وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴿٣٢﴾ الأنبياء
- يسير كل جرم رئيسي (كالقمر والشمس والشعرى) في فلك خاص عبر إحدى تلك السماوات: لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ

(١) وهنا أتذكر علاج الإيدز التي زعم الشيخ عبدالمجيد الزنداني اكتشافه بمساعدة النصوص الإسلامية. أو علاج السرطان الذي زعمت الباحثة السعودية فاتن خورشيد اكتشافه في بول الإبل! وبالطبع، فهذه الادعاءات لم تسفر عن شيء حقيقي!

(٢) انظر مثلاً: إعلان إسطنبول حول الإسلام والعلم، سنة ٢٠١٦م.

وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ يس

- النجوم ليست سوى زينة للسماء الدنيا وظيفتها رجم الشياطين: وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ﴿٥﴾ الملك

- النجوم التي ترجم الشياطين مصنوعة من نحاس مشتعل: يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ الرحمن

وبالطبع، فكل ما سبق يُعتبر اليوم مجرد خرافات مضحكة وأفكار قديمة عفا عليها الزمن.[١]

وعلى ضوء هذا التصوّر القديم للكون، فإن كثير من المسلمين اليوم لا يزالون يعتقدون بمركزية الأرض، وأن الشمس تدور حولها. مما يضع هؤلاء المسلمين الطيبين خارج إطار الزمن فعلاً، ويعيدهم إلى زمن العصور الوسطى ما قبل نيكولاس كوبرنيكوس[٢] ومحاكمات جاليليو جليلي!

ومن الإعجاز الذي يدّعيه المسلمون قولهم بأسبقية القرآن في كشف تطور الجنين داخل رحم المرأة، وذلك في قول القرآن: ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ المؤمنون. وعلم الأجنة اليوم لا يتفق مع هذه الأطوار. فمثلاً، تقول الآية أن العظام تتكون ثم يتم كسوها باللحم، وهذا كلام عارٍ عن الصحة تماماً. وعلى الرغم من خطأ هذه الآية، يصر المسلمون على وجود إعجاز فيها ويستشهدون بكلام كتبه العالم «كيث مور» في مجلة رابطة

(١) لن أناقش مدى تهافت التصوير القرآني للسماء، فخطأه ظاهر للعيان وأقل من الرد عليه. ويمكن إجراء بحث يسير لمعرفة حقيقة السماء والنجوم والأجرام السماوية الأخرى وفقاً للعلوم الحديثة.

(٢) بالمناسبة، كوبرنيكوس لم يكن أول من قال بمركزية الشمس ودوران الأرض حولها. بل سبقه في هذا الفيلسوف «فيلولاوس» في القرن الخامس قبل الميلاد، ولكن فكرته اندثرت، ربما بسبب تأثير الدين المسيحي الذي كان يرفض نموذج مركزية الشمس.

الطب الإسلامي[(١)] حينما كان يعمل في «جامعة الملك عبدالعزيز» بمدينة جدة. وقد اعتمد في كتابته على ترجمة إنجليزية قُدّمت له كونه لا يجيد اللغة العربية. ولقد تراجع مور بعد ذلك عن كلامه، وأزال إشارة للموضوع كان قد أضافها في كتابه Clinically Oriented Anatomy. وأياً يكن الأمر، فالآية القرآنية لم تأتِ بجديد لا يعرفه البشر حينها، فهناك علماء وفلاسفة سبقوا القرآن في ذكر مراحل تكوّن الجنين بمئات وربما بآلاف السنين[(٢)].

إذا ما تتبعنا آيات وأحاديث الإعجاز العلمي، نجدها لا تخرج عن واحدة من الحالات الأربعة التالية:

١) غير صحيحة علمياً (وهي الأكثر)،

٢) مختصرة أو مبهمة (غير صريحة) لغوياً،

٣) بديهية ومُشَاهَدة،

٤) مسبوقة ومعروفة في زمنها.

وهنا بعض الأمثلة من الآيات والأحاديث التي يزعم المسلمون وجود إعجاز علمي فيها:

- مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ الرحمن.
- وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴿١٢٥﴾ الأنعام.
- وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ الطارق.
- يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ الطارق.

---

(١) المصدر: https://bit.ly/2Nhwjrr

(٢) راجع على سبيل المثال الحلقات رقم ٢٥٩، ٢٦٠ و ٢٦١ من برنامج «سؤال جريء» على يوتيوب.

- وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ الذاريات.
- حديث: إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فإن في إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء؛ رواه البخاري.

ثمة إشكالية تواجه المسلمين في الإعجاز العلمي تتمثل في حَدَاثة فَهمِهم لهذا الإعجاز، وهذا يثير سؤالين وجيهين:

١) كيف احتجَّ القرآن على قريش والعرب قديماً بكلام لا يفهمونه؟

٢) وكيف آمن المسلمون طوال قرون بآيات لا يعرفون معانيها الصحيحة؟

فمثلاً، عندما يقول المسلمون اليوم أن آية: بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ القيامة، تحمل سبقاً إسلامياً في كشف اختلاف بصمات الأصابع بين البشر. فهنا يكون السؤال: وما أدرى كفار قريش بالبصمات حتى يستخدمها القرآن في الرد عليهم؟ فهكذا رد سيكون بلا حُجّة ولا منطق بالنسبة لهم، وبالتالي فهم معذورون في رفضه! وبالتالي يكون عقابهم على رفضهم ظلم محض. ومن جهة أخرى، كيف آمن المسلمون بهذه الآية قبل اكتشاف اختلاف بصمات الأصابع؟ هل كانوا يؤمنون بما لا يفهمون؟ أم أن الله أراد أن يعبدوه على جهل وليس على علم؟!

وقد يقول قائل: «الآية تحمل المعنيين، معنى اختلاف أطوال الأصابع واختلاف البصمات». ولكن هذا لا يُزيل الإشكال، بل يعني أن للقرآن أو للأحاديث معاني ظاهرة ومعاني باطنة! وحينها تفقد كلمات وعِبارات النصوص الدينية دلالاتها، ويصبح بالإمكان تحميلها أي معنى يريده القارئ. وفي هذا جناية على اللغة ذاتها باعتبارها وسيلة تواصل بين البشر!

إن دعاة الإعجاز العلمي في الإسلام يستغلون جهل غالبية الناس بالمسائل العلمية التي يتحدثون عنها، ويمارسون فذلكات لغوية ويعتسفون معاني القرآن المستقرة منذ قرون من أجل تسويق ادعاءاتهم. وكأنهم يحاولون اختراع آيات

جديدة لاستخدامها في مجال الدعوة بعدما استنفدت الآيات القديمة حجيتها وتأثيرها!

إن الإعجاز العلمي اليوم لا يحمل أي قيمة علمية. وصَدَق من أسماه «الإزعاج العلمي» أو «العجز العلمي». فهو ليس سوى جزء من دعاية دينية كما أسلفتُ. وهو يعيق تطور العلوم ويمنع المسلمين من الإسهام فيها. وخير مثال على ذلك موقف المسلمين العدائي من نظرية التطور. فهم يرفضونها فقط لأنها تخالف الإسلام، دون إجراء أي تجارب أو تقديم أي بحث أو دليل علمي يؤيد رفضهم ويساهم بالتالي في تصحيح مسار العلم وتطويره.

إن الدوغمائية[1] والعِلم لا يتفقان. وهناك من المسلمين من عرف ضرر الإعجاز العلمي المزعوم على الدين فيما لو انكشفت حقيقته للناس، ولذا نجدهم يتراجعون عنه وينكرون وجوده[2]. وليت جميع المسلمين يحذون حذوهم ويتخلَّون عن الاعتقاد بوجود إعجاز علمي في دينهم وذلك من أجل مصلحتهم ومصلحة العِلم.

* * *

(١) الدوغمائية هي التشدد لمعتقد ديني أو أيديولوجي ورفض كل ما يخالفه.

(٢) تجد هنا مثلاً تراجُع «حمزة تزورتزس» عن القول بالإعجاز العلمي:
https://youtu.be/fyf4gecrY8c?t=3m13s

# الخاتمة

وبعد أن استعرضتُ جانباً من ظلم الإسلام وجنايته على العقل، وتناولتُ عدداً من المغالطات التي يخدع بها الناس، وعرفتُ جزءاً من عيوب القرآن وأخلاق الإسلام وأخطاءه، فإنه لم يعد يسعني إلا الاستنتاج بأن هذا الدين -كبقية الأديان- ما هو إلا صنيعة بشرية كاملة. وأنه لا يمكن أن يكون من لدن إله حكيم رحيم عليم خبير كما يدّعي.

ولو أردنا مزيد تدليل على ما سبق من استنتاج فإنه يكفينا قراءة التاريخ ورؤية الواقع، إذ أنَّ خيرَ حُكْمٍ هو ما يحصل عليه المرء بعد التجربة. فلقد فشل الإسلام، على الرغم من طول تجربته، في تحقيق العدالة ونشر الحريات وتطوير العلوم وتحقيق الرفاه. إذ عاش أفراد الناس في معظم تاريخ الإسلام حياة جهل وخوف وشقاء. وإن مرت بالمسلمين أيام خير وعز، فإن خيرها كان يختص بالحكام وحاشيتهم وقادة جيوشهم[1]. أما بقية الناس فلم يكن لهم سوى التبعية والسمع والطاعة والرضا بما أعطاهم ولي الأمر والصبر على ما حرمهم! فلم يكن للناس حقوق ولم يكن لهم صوت. وليس هذا بمستغرب، فالإسلام تأسس عملياً في يثرب (المدينة) كمشروعِ دولة وسلطة مستبدة، وليس كمشروع إنساني يقوم على الحريات والحقوق. وحتى إنْ رَفَعَ شعار «رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» فإن الواقع يُكذِّبه!

واليوم نجد المسلمين، والعرب خاصة، خاوي الوفاض على المستوى «النظري»، لم يطوروا أنظمة حكم ولا فلسفة تعليم ولا مبادئ اقتصاد ولا قوانين علوم ولا شيء. بل هم عالة في كل ذلك على غيرهم. ينتظرون ما تجود به الأمم

(١) يستشهد كثير من المسلمين بحكم عمر بن عبدالعزيز وكيف أن الزكاة لم تجد من يأخذها في عهده. ولو سلمنا بأن عهده عاد بالخير على الناس، إلا أن حكمه استمر زهاء العامين فقط؛ ولعَمْري أنّ السنتين لا تُعدّ شيئاً في مقابل ١٤ قرناً من الزمن!

من فلسفات ونظريات، ثم يأخذون منها ويسيئون تطبيقها، ويا للأسف!

أما وضع المسلمين على المستوى «العملي» فأسوأ. إذ أن غالب بلدانهم فقيرة ومضطربة، ليس عندهم زراعة أو صناعة تنتج لهم ما يسد حاجاتهم ناهيك عن أن ينافسوا بها الآخرين. وهم أيضاً يعانون من القمع والاستبداد والخوف.

إن أصل الخلل الذي يعاني منه المسلمون على كافة الأصعِدة يعود لمنظومة الأفكار والأخلاق التي يؤمنون بها. فهم مقتنعون بأن تلك المنظومة الإسلامية صالحة للتطبيق، بينما هي في الحقيقة سيئة ومعطوبة، ويستحيل أن تؤدي لنهضة أو إصلاح حقيقيين. والمسلمون لا يريدون الاقتناع بهذا الخلل في منظومتهم الفكرية والأخلاقية، ولذلك نجدهم يَدْعون الله جيلاً بعد جيل أن يُمكّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم. وطال انتظارهم ولم يستجب الله دعاءهم! إنهم ببساطة يؤمنون بكذبة ويعبدون وهماً لا وجود له. وإن نهاية الوهم هي إدراك ماهيّته على حقيقتها[1]. فمتى يُدرِك المسلمون حقيقة هذا الوهم؟

تم ،،،

* * *

(١) هكذا وصف إيكهارت تول إدراك الوهم في كتابه «أرض جديدة».

# إدراكُ الوَهم

## تأملات في دِين محمّد

يتضمن هذا الكتاب استعراضاً لأهم المحطات التي وقف عندها المؤلف في رحلته مع دين الإسلام. ولقد دونها رغبةً منه في مشاركة تجربته مع إخوانه في الأرض واللغة والإنسانية، علَّ أن يجد بعضهم فيها ما يصحح نظرته للآخرين أو ينفعه في التخلص من الوهم الذي يعيشه.

